الجزء
الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

وصية حسن البنا قبل اغتياله :

«عبدالناصر مرشد الإخوان من بعدى» ..

1

قبل أن تقرأ ...

ظلت العلاقة بين عبدالناصر والإخوان المسلمين تمثل واحداً من أكثر الألغاز إثارة فى تاريخ مصر المعاصر.. ولقد طغت الخصومة - بل العداء - بين الفريقين، حتى أصبحت هى الأغلب على وصف العلاقة بينهما.. رغم ما يُجمع عليه المؤرخون من وجود علاقة ارتباط لعبدالناصر بجماعة الإخوان فى مرحلة مبكرة من تاريخه السياسى.. ولكن أحداً منهم لم يقف طويلاً عند تلك المرحلة فى تاريخ العلاقة بين الطرفين ليكشف لنا أسرارها ويحل ألغازها ليساعدنا على الإجابة عن العديد من الأسئلة المهمة والخطيرة، مما ينعكس بآثاره على المرحلة الحالية فى تاريخنا السياسى.

من هنا كانت محاولتى بحثاً عمن يستطيع الكشف عن أسرار تلك العلاقة بين

obeikandl.com

عبدالناصر والإخوان، حتى عثرت عليه.. إنه المستشار الدمرداش العقالى، الذى كان أحد أبرز أعضاء الجهاز السرى فى تنظيم الإخوان المسلمين.. وزعيم الطلبة الإخوان بالجامعة، فى الوقت الذى كان قد تبلور فيه نشاط الإخوان كحركة سياسية حتى كاد أن ينحصر فى مجال الشباب والطلبة، حتى أصبحت -أو كادت أن تصبح- حركة الإخوان المسلمين «حركة طلابية».. وهو - العقالى - فوق ذلك، يمت بصلة القرابة للزعيم الإخوانى الأشهر - سيد قطب - صاحب أكبر تأثير فكرى وتنظيمى فى جماعة الإخوان، ربما أكبر من مؤسسها حسن البنا نفسه. وقد كان سيد قطب خال زوجة العقالى، كما كانا - العقالى وقطب - صديقين فى مرحلة الطفولة والشباب وذلك لانتمائهما إلى بلدة واحدة هى أسيوط.. هذا فضلاً عن أن العقالى كان قد انخرط فى صفوف الإخوان قبل أن ينضم إليها سيد قطب نفسه.

لهذا كله كان المستشار العقالى فى الموقع الذى يسمح له ليس فقط برؤية الأحداث عن قرب، بل المشاركة فيها بفاعلية وتأثير.

ولعل اعترافاته التى أدلى بها لى فى هذا التحقيق تلقى ببعض الضوء الذى نحتاجه للتأريخ لتلك الفترة الحساسة من حياتنا السياسية. وأرى أنه ينبغى علينا أن نأخذ ما يقوله الرجل فى هذه الاعترافات بما هو جدير به من اهتمام وتفكير، خاصة أنه يفجر الكثير من المفاجآت التى تقلب - بل ربما تعدل - الكثير من الأمور التى ظللنا نتعامل معها كمسلّمات تاريخية.

العقالى: عبدالناصر نبتة «إخوانية»

جميع المصادر التى أرّخت للعلاقة بين عبدالناصر والإخوان المسلمين أكدت وجود تلك العلاقة بينهما، والتى تزيد تعمقاً عند البعض فيصل بها إلى قمة التنظيم، بينما يحاول البعض الآخر تهميشها فيصل بها إلى حد التوافق فى اتجاه الرغبة فى التغيير وليست علاقة تواصل أو تلاحم فى الحركة التنظيمية، والصحيح أن جمال عبدالناصر حسين لم يكن فقط جزءاً من حركة الإخوان المسلمين، من حيث العمل الثورى، بل هو نبتة إخوانية منذ الأساس، ولدىّ على ما أقوله أكثر من دليل.

من مجمل ما كتب تأريخاً لثورة يوليو أن التذمر الذى بدأ يتسرب إلى نفوس الضباط بالجيش المصرى، من جيل عبدالناصر وما قبله أو بعده بقليل، هذا التذمر خرج إلى دائرة النور، بعد أن كان مجرد حالة نفسية على إثر حادث ٤ فبراير الشهير، وهو ذلك اليوم الذى حاصرت فيه القوات البريطانية القصر الملكى بالدبابات لتفرض على ملك مصر تعيين النحاس باشا رئيساً للوزراء، بدلاً من حسين سرى.

كان ذلك عام ١٩٤٢، وهو العام الذى وصل فيه الشارع المصرى إلى قمة التهيؤ للتغيير، وكانت الحالة السياسية فى ذلك الوقت تتأرجح بين ثلاثة عوامل للتغيير، وثلاثة أخرى للتثبيت، فالملك والاحتلال والإقطاع هى العوامل التى كانت تدعو لتثبيت الأوضاع على ما كانت عليه، وقد كانت تلك العوامل الثلاثة متحالفة فى رغبتها تجاه الإبقاء على الحالة السياسية السائدة.

للتاريخ كانت أكثر الحركات نشاطاً فى ذلك الوقت حركة الإخوان المسلمين، والوثائق التى تؤرخ لتلك الفترة تؤكد أن الإخوان كانوا قد وصلوا فى حركتهم إلى

أطر جديدة، فقد كانت أول حركة وطنية تستقطب فى أطرها الأجيال المختلفة، ولا تقتصر على «جيل الآباء» وحده، بعد أن كانت الأحزاب القديمة كلها تتعامل مع ذلك الجيل.

ولكن جاءت حركة الإخوان المسلمين لتتواصل مع الشباب الذين استقطبتهم فى حركة أطلقوا عليها اسم «الجوالة» ينتظم فيها الأبناء من سن عشر سنوات وحتى السادسة عشرة، وحركة أخرى اسمها «الإخوان العاملين» ينتظم فيها الأعضاء بين سن السادسة عشرة والأربعين، ثم حركة «الإخوان المتسبين» التى تضم الشيوخ فوق سن الأربعين.

ومعروف أن حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين ومؤسس الحركة، كان قد استطاع فى عام ١٩٣٨ أن يشكل نواة «الجهاز الخاص» أو ما سمى على ألسنة بعض خصوم الإخوان بـ«التنظيم السرى»، وكان حسن البنا يعنى بـ«الخصوصية» التى أطلقها وصفاً للتنظيم الجديد أن يستخلص مجموعة من الشباب تعطى ولاءها للدعوة، وقدرتها على العطاء دون انتظار للأخذ، فى الحقل الذى توجههم فيه قيادة الحركة، سواء أكان سلمياً أو عسكرياً.

إن حركة بهذه القدرة، على مستوى الأجيال استوعبت الصغير والكبير، وعلى مستوى الحركة استوعبت السرى والعلنى، وعلى مستوى العمل استوعبت السلمى والعسكرى، كانت هى الحركة الفاعلة وبالتالى فإنه عندما أحس الضباط المصريون بالرغبة فى التغيير عام ١٩٤٢، كان منطقياً أن ينصرفوا بأذهانهم إلى أكثر الحركات قدرة على معاونتهم لإحداث التغيير. ولهذا فإنه من الثابت أن اليوزباشى جمال عبدالناصر حسين قد انخرط فى صفوف الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢ مشكلاً مع عبدالمنعم عبدالرؤوف وأبوالمكارم عبدالحى ومحمود لبيب الجهاز الخاص للإخوان

المسلمين فى الجيش.

ولم يكن اسم الضباط الأحرار قد ظهر بعد، فكان هذا التشكيل السرى فى الجيش الذى انخرط فيه عبدالناصر مجرد فرع لـ«الجهاز الخاص» الذى أسسه حسن البنا عام ١٩٣٨ برئاسة عبدالرحمن السندى الذى كان لا يزال فى ذلك العام طالباً بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول، أو جامعة القاهرة كما تسمى الآن، وقد بايع «جمال عبدالناصر» حسن البنا المرشد العام للحركة بنفس الطريقة التى بايعه بها أى عضو آخر فى التنظيم أو الحركة، وأصبح جمال عبدالناصر منذ ذلك الوقت من عام ١٩٤٢ عضواً عاملاً فى جماعة الإخوان المسلمين.

وقد عمل عبدالناصر فى السودان فى الوقت الذى وضحت فيه نوايا الإنجليز لفصل السودان عن مصر، مما ترك أثراً سيئاً فى نفوس الشباب من الضباط المصريين، وكان عبدالناصر واحداً منهم، وكان لهذا المناخ المتوتر فى السودان أثره فى زيادة الوعى السياسى عند جمال عبدالناصر، كما وسع من دائرة اهتماماته بما يحدث فى السودان أو أى بقعة أخرى من محيط مصر العربى والإسلامى، وكان الحس الوطنى والقومى فى السودان - وربما لا يزال - مصبوغاً بالعاطفة الدينية، فمنذ ثورة المهدى وحركة الميرغنى والسودانيون يشتغلون بالسياسة فى إطار دينى. ولا شك فى أن الفترة التى أمضاها عبدالناصر فى السودان زادت من يقينه بأنه لا خلاص لوادى النيل من الاحتلال والتخلف إلا من خلال الدين، فكان طبيعياً أن يزيد ذلك من ارتباطه بحركة الإخوان المسلمين.

تحول دراماتيكى

وقد ظلت حركة الإخوان المسلمين بقيادة حسن البنا وعبدالرحمن السندى فى القطاع المدنى وجمال عبدالناصر فى القطاع العسكرى، تعمل لتغيير الأوضاع فى

مصر والاستيلاء على السلطة، كما كان مقدراً لها فى عام ١٩٥٥، فقد قدرت قيادة الإخوان أنه فى هذا العام يكون قد توافر لها من الإمكانات المادية والبشرية والحركية ما يمكنها من الاستيلاء على السلطة فى مصر.

ولكن ما الذى حدث حتى تغيرت الأحوال والأوضاع، وبالتالى تغيرت الأوراق والترتيبات؟.. إنها قضية فلسطين التى تفجرت على نحو دراماتيكى لم يكن فى حسبان أحد من قادة الإخوان وهم يخططون للأحداث فى مصر، فقد جاء عام ١٩٤٧ الذى صدر فيه قرار تقسيم فلسطين من هيئة الأمم المتحدة بمثابة التحدى لـ«الأستاذ» حسن البنا، الذى كان يدرب كوادره فى الجوالة والجهاز الخاص ليعمل بهم على تغيير الواقع على أرض مصر كما كان مقدراً فى عام ١٩٥٥، فأصبح يتعين عليه الآن الانتقال إلى أرض فلسطين لمواجهة معركة لم تكن محسوبة.

ومن هنا غيّر حسن البنا تكتيكاته مضطراً، وبدا مقتنعاً بأن بداية التغيير الحقيقى ليست فى مصر فقط، بل فى العالم العربى كله، هى الآن على أرض فلسطين التى يجب أن يخوض معركته فيها مع اليهود بالمتطوعين.

بدأ حسن البنا يجوب القرى المصرية وفى صحبته الحاج أمين الحسينى ليحث الناس على الجهاد دفاعاً عن أرض فلسطين، وقد رأيت- وكنت حينئذ عضواً بالجهاز الخاص بحركة الإخوان المسلمين رغم أنى لم أكن قد تجاوزت بعد السابعة عشرة من عمرى- كيف كان الرجال فى قرية تسمى «أبوخرس» بصعيد مصر يدخلون إلى بيوتهم ليأتوا بزوجاتهم ليتبرعن بمصاغهن للحسينى والبنا مشاركة منهن فى الجهاد على أرض فلسطين.

مَنْ الخائن؟

وقد سافرت أول مجموعة من المتطوعين من الإخوان المسلمين إلى أرض

فلسطين عقب قرار التقسيم مباشرة، فى يناير عام ١٩٤٨، وبدأت فى اتخاذ مواقعها حول «الكيبوتزات» اليهودية فى جبال فلسطين.. وقد شرع المتطوعون المسلمون فى القتال المتلاحم مع المستوطنين اليهود فى المستعمرات الإسرائيلية فور وصولهم إلى هناك. وبدأوا فعلاً فى تحرير بعض المواقع المهمة ومنها «تبة اليمن» التى غيروا اسمها إلى «تبة الإخوان المسلمين».

حينئذ بدأت القوى الاستعمارية فى التخطيط لدخول القوات العربية النظامية إلى ميدان المعركة بقيادة الملك عبدالله صنيع الإنجليز، وكان دخول القوات العربية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ مؤامرة على المتطوعين المسلمين وليس معاونة لهم.. فحين جمع فاروق مستشاريه ليبحث معهم ما يجب أن يفعله إزاء قضية فلسطين، قال له أولئك المستشارون إن التيار الشعبى المصرى تجاه قضية فلسطين أقوى من أن يقاوم، ولكن يمكن استيعابه وإجهاضه، بأن تكون أنت- يا جلالة الملك- صاحب الجيش الذى يدخل فلسطين مقاتلاً، فلا يزايد عليك الإخوان المسلمون، ولا يكسبون على حسابك ورقة يمكن أن تكسبها أنت، فقرر فاروق دخول القوات المصرية إلى فلسطين، حينئذ أدرك حسن البنا- وكان رجلاً أريباً محنكاً- أن النظام العالمى القائم فى ذلك الوقت يسعى لكسر النفسية العربية وإصابتها باليأس والإحباط بهزيمة سبعة جيوش عربية أمام بعض العصابات الصهيونية. ولهذا أصدر حسن البنا أوامره بسحب قواته من المتطوعين بفلسطين وعدم الاستمرار فى إرسال قوات أخرى إلى هناك.

وقد كان لهذا القرار الذى أصدره المرشد العام أثر الدوى فى قواعد الإخوان، حتى إن البعض منهم قد اتهمه بالخيانة، ويقول العقالى: كنا نتدرب فى بعض المعسكرات بأسيوط استعداداً للسفر إلى أرض المعركة فى فلسطين حين جاءنا القرار بوقف التدريب وإخلاء المعسكرات من المتطوعين.

وبعد أن استوعب حسن البنا كل المهاجمين وحركة التمرد فى صفوف الإخوان، عقد كتيبة ليلية لأعضاء الجهاز الخاص ليقول لهم: العمل هنا فى مصر وليس فى فلسطين، وإن الطريق إلى القدس لابد أن يمر عبر القاهرة، وما يحدث الآن فى فلسطين إنما هو مؤامرة لتسليمها إلى اليهود بأسلوب يحبط الإرادة العربية والإسلامية لعدة أجيال قادمة. وقال كلمته الشهيرة: كنا نعمل على تنظيف سلم الحياة فى مصر – بالتربية – من أسفل إلى أعلى، فأبى النظام إلا أن يقنعنا بأن السلم لا ينظف إلا من أعلى إلى أسفل..!

الزعيم عبدالناصر

وقد تنبه المعسكر الغربى إلى خطورة الإخوان على مخططاتهم فى المنطقة العربية، فقرروا الإسراع بالتصدى للحركة وإجهاضها قبل أن يستفحل أمرها، فتصبح عصية على التصفية والضرب.. وقد اجتمع سفراء انجلترا وفرنسا وتركيا، وكانت عضواً ضالعاً فى التحالف الغربى ومشاركاً فى حرب كوريا، وقرروا العمل على حل جماعة الإخوان المسلمين.. فصدر قرار بحل الحركة فى ٨/ ١٢/ ١٩٤٨، واعتقل جميع قيادة الإخوان ما عدا حسن البنا المرشد العام للحركة ورأسها المدبر، وحينئذ أيقن الرجل أنه استبقى ليصفى، لأنه لا معنى لأن يعتقل جميع قيادات الإخوان وهم دونه إلا أن يكون ذلك لأمر يدبر له خاصة.. فأعد وصيته وذهب بها ليسلمها إلى صالح حرب باشا فى جمعية الشبان المسلمين فى الليلة التى قتل فيها، وهى الليلة الوحيدة التى خرج فيها من بيته منذ أن أحس بأنه مستهدف من قبل الملك وأعوانه.

المرشد العام

وقد كتب البنا موصياً بأن يكون المسؤول عن جماعة الإخوان المسلمين فى حالة اغتياله أو غيابه هو عبدالرحمن السندى رئيس الجهاز الخاص أو «التنظيم السرى»

obeikandl.com

للإخوان المسلمين، وإذا لم يكن السندى موجوداً يصبح جمال عبدالناصر حسين هو المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين.

وبعد اغتيال حسن البنا بأيام معدودة ضبط عبدالرحمن السندى فى القضية المشهورة باسم «سيارة الجيب»، التى كانت تحمل الوثائق الخاصة بالأسماء الحركية لجميع أعضاء الجهاز الخاص أو التنظيم السرى لحركة الإخوان المسلمين، وقد ضبطت السيارة الجيب التى كان يستقلها بعض أفراد التنظيم بالصدفة البحتة أمام قسم الوايلى بالعباسية، وعلى إثر ذلك ألقى القبض على عبدالرحمن السندى قائد التنظيم السرى وأودع السجن على ذمة القضية، فلم يبق لقيادة الحركة غير جمال عبدالناصر.

من الورشة إلى المعرض

لم يكن عبدالرحمن السندى حتى ذلك الوقت من الوجوه المعروفة، فقد أبقاه حسن البنا تحت الأرض، منذ أن أسند إليه قيادة التنظيم السرى عام ١٩٣٨، وقال السندى بعد قيام الثورة إن حسن البنا قال له حين اختاره لهذه المهمة السرية الخطيرة: إن الجهاز الخاص هو «الورشة» التى نعد فيها قادة التغيير، أما مكتب الإرشاد والمركز العام والهيئة التأسيسية وحديث الثلاثاء فكلها بمثابة «المعرض»، الذى نعرض فيه بضاعتنا، والصانع الجيد لا يجعل مرتادى المعرض أو زواره يرون ما يحدث فى «الورشة»، فالورشة تصنع فى صمت، والمعرض يبيع بغير ضوضاء الورشة.

قد تكون هذه النظرة صائبة على المدى القريب، ولكن على المدى البعيد كان هذا الفصام بين الجهاز السرى والقيادة هو سبب مقتل حركة الإخوان المسلمين، فى غياب حسن البنا، كما سيأتى ذكره فيما بعد.

بعد دخول عبدالرحمن السندى السجن انصرفت الأنظار إلى جمال عبدالناصر حسين ليقود الإخوان المسلمين، كما جاء فى وصية المرشد العام، وهو يستعد

للرحيل قتلاً.. وكان عبدالناصر فى ذلك الوقت لايزال محاصراً فى «الفالوجا» فانتظره صالح حرب ليبلغه بوصية المرشد العام قبل اغتياله، وقد حضر جمال عبدالناصر ومعه الصاغ محمود لبيب الذى كان قد أقنع عبدالناصر بالدخول فى حركة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢.

عجلوا بالحركة

وقد جاء فى وصية البنا فضلاً عن اختيار السندى ثم عبدالناصر لقيادة حركة الإخوان بعد وفاته مناشدة قيادة الإخوان الجديدة أن تسارع بالتغيير وقلب نظام الحكم فى موعد أقرب من عام ١٩٥٥، الذى كان قد تم الاتفاق عليه موعداً للثورة، فقد أصبحنا «فى سباق مع الزمن».

ولعله من الثابت الآن أن إبراهيم عبدالهادى، رئيس وزراء مصر بعد محمود النقراشى الذى اغتاله الإخوان المسلمون فى أعقاب قراره بحل جماعتهم، كان قد استدعى جمال عبدالناصر ليسأله عن علاقته بالإخوان المسلمين، وقد أنكر جمال عبدالناصر -بطبيعة الحال- أى صلة له بالجماعة المنحلة، بينما كان يحتفظ فى جيب سترته العسكرية بوصية حسن البنا وورقة أخرى تتضمن بعض أسماء المدنيين الذين رشحهم له حسن البنا للاتصال بهم عند قيام الثورة، ومن بين تلك الأسماء جاء اسم عبدالعزيز على، الذى كان رغم انتمائه الظاهر للحزب الوطنى القديم فإنه كان على علاقة حميمة جداً بالأستاذ حسن البنا، وقد اتهم عبدالعزيز على مع الإخوان المسلمين مرتين، نظراً لتلك الصلة الوثيقة التى كانت تربطه بهم، وقد اختاره جمال عبدالناصر وزيراً فى أول وزارة يشكلها بعد قيام الثورة.

نظرة ثاقبة

كان عبدالناصر أثناء مشاركته فى حرب فلسطين قد اكتشف عدداً من الحركات

obeikandl.com

السرية التى يموج بها الجيش المصرى.. ولم تكن أى منها تعلم بحقيقة الحركات الأخرى أو اتجاهاتها أو أعضائها، ولكن جمال عبدالناصر الذى كان قائداً متميزاً، علم بوجود تنظيم شيوعى فى الجيش يقوده يوسف صديق، وتنظيم وطنى آخر يقوده الضابط أحمد شوقى، بالإضافة إلى عدد آخر من التنظيمات السرية التى كان يعج بها الجيش فى تلك المرحلة، التى سادها القلق والترقب قبل قيام الثورة.

وبعد عودته إلى مصر من حرب فلسطين، وعلمه بما جاء فى وصية حسن البنا من أنه يرشحه لتولى المسؤولية فى حركة الإخوان المسلمين بعد غيابه هو وعبدالرحمن السندى، كان عليه أن يجتمع بالضابطين الآخرين اللذين حضرا معه البيعة لحسن البنا، ليشاورهما فى الأمر، وهما عبدالمنعم عبدالرؤوف وأبوالمكارم عبدالحى، وأطلعهما على ما جاء فى الوصية، خاصة ما جاء فيها متعلقاً بضرورة الإسراع للقيام بحركة التغيير، وقال لهما جمال عبدالناصر يومها إنه لا سبيل أمامهم للإسراع بحركة التغيير إلا بالتلاحم مع الحركات السرية الأخرى داخل صفوف الجيش، فالمهمة أثقل من أن يتحملها تنظيم واحد وهى أكبر من قدرة أى تنظيم على حدة، بينما لو استطاعوا التوحد والاندماج فى التنظيمات الأخرى أمكنهم القيام بالمهمة بنجاح وعلى وجه السرعة، على أن يكون زمام الأمور بأيدينا.

وقد وافق أبوالمكارم عبدالحى على ما قاله عبدالناصر، أما عبدالمنعم عبدالرؤوف فقد رفض ذلك قائلاً إنه لا يمكن أن يضع يده إلا فى أيد «متوضئة»، وأنه أقسم يمين الولاء للعمل على المصحف، وأنه لا يمكن الوصول إلى الغاية النبيلة إلا بالوسيلة النبيلة.. وبالتالى فإنه لن يضع يده فى أيد الشيوعيين أو غيرهم ممن لا ينتمون إلى الإخوان المسلمين.

حاول عبدالناصر جاهداً إقناع عبدالمنعم عبدالرؤوف بوجهة نظره ولكنه حين

فشل فى ذلك قال له: «إذا اعتزلتنا فلا تكن ضدنا.. وإذا عملنا عملاً واحتجناك فيه فساعدنا. فوعده بذلك، وافترقوا على هذا الوعد والاتفاق».

وعلى إثر ذلك شرع عبدالناصر فى بناء تنظيم الضباط الأحرار، الذى كان يضم فى الواقع أكثر من تنظيم سرى، وأكثر من اتجاه سياسى وعقائدى، وكان ذلك فى عام ١٩٤٩، وهو التاريخ الصحيح لبداية تنظيم الضباط الأحرار.

أما قبل هذا التاريخ فلم يكن هناك تنظيم اسمه الضباط الأحرار، بل كان عدد من التنظيمات السرية الصغيرة التى يجهل كل منها حقيقة الآخرين، وقد اندمجت جميعها فى تنظيم واحد، هو الذى عرف تاريخياً باسم تنظيم «الضباط الأحرار» وهو- كما نرى- اسم محايد يتسع لمختلف الاتجاهات والميول السياسية والعقائدية، ففيه الإخوانى وفيه الماركسى، وفيه الآخرون من غير المنتمين لأى من الاتجاهات السياسية المطروحة فى ذلك الوقت، وإن كان شغلهم الأول هو قضية الوطن.

obeikandl.com

الملك فاروق
يعيد الجماعة إلى الشارع ليضرب بها حزب الوفد

2

الورشة السرية رفضت الهضيبى

متى بدأ تنظيم الضباط الأحرار وما هو تاريخ ميلاده الصحيح؟

لقد حاول الكثيرون الإجابة عن هذا السؤال، فقال بعضهم إنه ولد فى أعقاب حادث ٤ فبراير الشهير وكرد فعل مباشر له، وقال آخرون إنه بدأ فى أعقاب نكبة ١٩٤٨ وكنتيجة حتمية لها.

أما المستشار الدمرداش العقالى، فيؤكد أن تنظيم الضباط الأحرار ولد عام ١٩٤٩، أى قبل قيام الثورة بثلاث سنوات تقريباً، وأنه ولد على يد جمال عبدالناصر الابن الشرعى لتنظيم الإخوان المسلمين، وتنفيذاً لوصية المرشد العام حسن البنا له ولكل

obeikandl.com

قيادات التنظيم بضرورة الإسراع بقيام الثورة التى قدر البنا عام ١٩٥٥ موعداً لقيامها.

كما يؤكد الدمرداش العقالى أن جمال عبدالناصر الذى آلت إليه قيادة الإخوان المسلمين بعد مقتل حسن البنا ودخول عبدالرحمن السندى المعتقل، هو عبدالناصر الذى شرع فى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار داخل الجيش، مؤلفاً من عدة تنظيمات وخلايا سرية أخرى، بالإضافة إلى الضباط الذين كان يضمهم تنظيم الإخوان المسلمين، وذلك لأن جمال عبدالناصر - كما يؤكد المستشار العقالى- كان مقتنعاً بأن الثورة التى يخطط للقيام بها أكبر من أن يضطلع بها تنظيم واحد مهما بلغت قوته، وأن مهمة التغيير التى يسعى إليها أخطر من قدرة أى تنظيم على حدة.

ولكن عبدالمنعم عبدالرؤوف، أحد زملاء عبدالناصر فى تنظيم الإخوان المسلمين، رفض فكرة عبدالناصر بضرورة التوسع فى التنظيم الثورى، وفتح أبوابه أمام عناصر أخرى من غير المؤمنين بفكرة «الحل الإسلامى» على طريقة الإخوان المسلمين.. فماذا كان موقف عبدالناصر إزاء هذا الرفض؟

يقول المستشار الدمرداش العقالى:

- طلب جمال عبدالناصر من زميله عبد المنعم عبدالرؤوف ألا يكون ضدهم فى تنفيذ فكرتهم بضم عناصر أخرى إلى التنظيم الثورى من ذوى الميول السياسية الأخرى كالماركسيين أو غيرهم، ثم إذا جد الجد وقامت الثورة ورأت قيادتها دعوة عبدالمنعم عبدالرؤوف للمشاركة فيها، فلا يمانع، وقد وافق عبدالمنعم على شروط عبدالناصر، وقرر اعتزال التنظيم الجديد «الضباط الأحرار» مفضلاً الترقب من بعيد.

بين الوفد والإخوان

فى يوم ٣ يناير ١٩٥٠ أجريت الانتخابات البرلمانية فى مصر، وهى آخر

انتخابات أجريت فى عهد فاروق، وقد نجح فيها حزب الوفد نجاحاً ساحقاً، بعد أن حصل على ٨٧٪ من عدد المقاعد التى جرت الانتخابات عليها، وقد أثارت هذه الأغلبية الكاسحة الرعب فى نفس فاروق، الذى كان عداؤه الشديد للوفد أمراً لا يقوى على إخفائه.. فجمع مجلس البلاط الذى كان فاروق يستشيره فى أموره الخاصة حين تشتد به الأزمات، وكان مجلس بلاطه مكوناً من ناظر الخاصة الملكية محمد نجيب سالم باشا، ومحمد العشماوى باشا، وزير المعارف الأسبق، وهو معلم فاروق، الذى أشرف على تعليمه حين كان يتلقاه فى مدارس لندن وجامعاتها، أما الثالث فهو رجل الدين البارز محمد عبداللطيف دراز، وكان وكيلاً للأزهر، كما كان قطباً من أقطاب الحزب «السعدى» المناوئ لحزب الوفد.. هذا الثالوث هو الذى كان سبباً فى نكبة مصر فى ذلك الوقت.. كيف؟

حيث اشتكى لهم الملك مخاوفه من مجىء الوفد إلى الحكم، فاقترح عليه محمد عبداللطيف دراز والعشماوى ونجيب سالم أن يعيد الإخوان المسلمين إلى الساحة ليحدث التوازن مع الوفد، وبهذا نرى أن عملية التوازن فى الشارع السياسى بين شد وجذب، وهى التى لجأ إليها السادات فى آخر أيامه، كان فاروق قد سبقه إليها حين أعاد الإخوان المسلمين إلى الساحة السياسية، ليوازن بهم الوفد بعد نجاحه فى آخر انتخابات برلمانية أجريت فى عهده.

الباقورى والإخوان

قلنا إن مجلس البلاط الملكى اقترح على فاروق إعادة الإخوان ليسحبوا الشعبية من حزب الوفد، لأنهم، كما أكدوا له، الوحيدون القادرون على ذلك، بما لهم من شعبية كاسحة تعادل إن لم تزد على شعبية الوفد.

اندهش فاروق لدى سماعه اقتراح مجلس البلاط بإعادة الإخوان والسماح لهم

بالعمل، خاصة أن فاروق هو الذى كان قد دبر وأمر باغتيال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين، ومن هنا كانت دهشته وهو يستمع لاقتراح مجلس البلاط، فقد استبعد فاروق أن يؤازره الإخوان، وهو قاتل مرشدهم، فى موقفه ضد حزب الوفد، ولكن مجلس بلاطه أكد له أن جماعة الإخوان قد ربيت على السمع والطاعة للمرشد العام لجماعتها، فإذا نجحوا فى تعيين مرشد جديد للإخوان المسلمين يدين بالولاء للملك، فإنهم يكونون بذلك قد نجحوا فى استيعاد الإخوان المسلمين والاتجاه بحركتهم إلى صف الملك.

انبرى الشيخ عبداللطيف دراز، وكيل الأزهر مستشار الملك، عضو مجلس البلاط قائلاً: إنه لديه المرشد الذى يدين لجلالة الملك بالولاء الشديد، وحين سأله عن اسم المرشح لزعامة الإخوان قال له دراز: إنه الشيخ أحمد حسن الباقورى!

كان الباقورى زوج ابنة عبداللطيف دراز وهو وكيل المرشد العام السابق المرحوم حسن البنا، أى أنه يقف بإحدى قدميه فى الإخوان المسلمين وبالأخرى فى البلاط الملكى!

وبالرغم من أن الباقورى كان وكيلاً للمرشد العام، حسن البنا، فإنه لم يكن يعلم شيئاً عن الأمور الخاصة للتنظيم، وأهمها التنظيم الخاص أو الجهاز السرى، فالباقورى كان وكيلاً لصاحب «المعرض» أما «الورشة»- أو الجهاز الخاص- والتى تكمن فيها القوة الحقيقية للإخوان المسلمين فلم يكن للباقورى أى علم بما يدور فيها، ومن هنا كان الشيخ الباقورى شديد النقمة على المرشد العام حسن البنا، لأنه أخفى عنه «جبل الثلج» الذى لم يكن الباقورى يرى منه غير قمته الطافية فوق السطح فقط، أما قاعدته الكبيرة التى يرتكز عليها فى قاع المحيط، فلم يكن البنا يسمح لأحد غيره بالاقتراب منها والاطلاع عليها.

وحين اكتشف الباقورى وجود هذا التنظيم الخاص وأدرك حجم قوته، استشاط

غضباً من حسن البنا، حين استشعر أن البنا كان يستغله أو لا يمنحه الثقة التى كان يرى أنه جدير بها كوكيل له.

وكان الشيخ عبداللطيف دراز- ولا شك- يعلم بالمشاعر غير الودية التى كان يكنها الشيخ الباقورى لحسن البنا نتيجة لذلك، ومن هنا كان يرى أن اختياره للباقورى، ليحل محل البنا فى زعامة الإخوان هو الاختيار الموفق، الذى يضمن به تحويل الإخوان المسلمين إلى جماعة مؤيدة ومستأنسة، على خلاف ما كانت عليه فى عهد زعيمها السابق حسن البنا.

لم يكن الباقورى من القيادات الإخوانية التى شملتها عملية الاعتقال الأخيرة، وحين استدعاه الشيخ دراز ليعرض عليه زعامة الإخوان طلب الباقورى مهلة من الوقت يستكشف خلالها رأى مكتب الإرشاد فى أمر ترشيحه زعيماً للإخوان.

وكان مكتب الإرشاد مكوناً من عدد من أقطاب الإخوان منهم الشيخ الغزالى- رحمه الله- وعبدالرحمن البنا شقيق حسن البنا، وصالح عشماوى، وكان هؤلاء الثلاثة أبرز الأعضاء فى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، وكانوا جميعهم معتقلين فى معتقل «الهايكستب» شرق القاهرة.

وحين ذهب إليهم الباقورى ليسألهم رأيهم فى تعيينه مرشداً عاماً للإخوان، خاصة أنه وكيل المرشد العام، قال له الغزالى: إننا لا نستطيع أن نأكل عيش السراى!

ومعروف أن «عيش السراى» هو نوع من الحلويات، وقد أرادها الغزالى كناية واضحة عن علاقة الباقورى بالسراى أو الملك فاروق!

وقد فهم الباقورى ما كان يرمى إليه الشيخ الغزالى من وراء عبارته، وأيقن أنه لا قبل له بمعاداة مكتب الإرشاد أو «رجال المعرض» حتى لا يفقدهم، خاصة أنه فاقد فعلاً «لرجال الورشة» التى لا يعلم عنها شيئاً.

لهذا رأى الباقورى أنه ليس من مصلحته أن يفعل شيئاً يتقل به إلى صفوف الأعداء فى مواجهة الإخوان المسلمين. فذهب إلى الشيخ دراز ليقول له إنه لا يستطيع أن يرأس الإخوان على غير رغبة من رجال مكتب الإرشاد، ولكنه قدم بدلاً منه رجلاً آخر ليقوم بهذه المهمة «وهو لا يقل عنى ولاء» لجلالة الملك، كما قال الباقورى.

الهضيبى رجل الملك

وكان المرشح الجديد هو المستشار حسن الهضيبى، الذى لم يكن عضواً فى جماعة الإخوان حتى ذلك الوقت، وإنما كانت تربطه علاقة طيبة بمرشدها العام المرحوم حسن البنا.

وكان مأمون الهضيبى، المتحدث الرسمى باسم الإخوان الآن، وابن حسن الهضيبى، متزوجاً بابنة محمد نجيب باشا سالم ناظر الخاصة الملكية، أى أن لهم قدماً فى البلاط الملكى، وتبقى الأخرى طليقة انتظاراً لوضعها على أرض الإخوان المسلمين!

حين سمع محمد نجيب باشا سالم بترشيح الباقورى للمستشار حسن الهضيبى ليكون مرشداً عاماً للإخوان المسلمين، قال نجيب باشا إن الهضيبى ليس موالياً فقط للملك فاروق، بل كان موالياً أيضاً لأبيه الملك فؤاد الذى يدين له الهضيبى بتعيينه قاضياً بعد أن كان محامياً.

حينما جرت الانتخابات البرلمانية عام ١٩٢٤ - فى عهد الملك فؤاد- نجح فيها عدد كبير من القضاة، فانتقلوا نواباً بمجلس النواب، وخلت بذلك أماكنهم فى السلك القضائى، فأراد سعد زغلول، زعيم حزب الوفد، رئيس الحكومة فى ذلك الوقت، أن يعين عدداً من القضاة، بدلاً من القضاة الذين نجحوا كنواب فى البرلمان، ولكن الملك فؤاد رأى أن تعيين القضاة حق له وحده، بصفته رئيساً للسلطات الثلاث، بما فيها السلطة القضائية، وحدثت أزمة بين فؤاد وسعد زغلول،

حين رأى كل منهما أن له الحق فى تعيين القضاة، وبتدخل الوسطاء من أهل الخير تنازل سعد زغلول للملك فؤاد. فأصدر فؤاد مرسوماً ملكياً بتعيين عدد من المحامين كقضاة بعدد الذين خلت دوائرهم، وكان حسن الهضيبى واحداً من هؤلاء، الذين شملهم المرسوم الملكى لفؤاد، فأصبح قاضياً بأمر من الملك فؤاد بعد أن كان محامياً، ولهذا ظل الهضيبى يدين بالولاء للملك فؤاد حتى وفاته، ثم أصبح ولاؤه لابنه الملك فاروق من بعده.

المؤامرة المحبوكة

وبعد أن حكى نجيب باشا ناظر الخاصة الملكية هذه القصة عن صهره حسن الهضيبى، استحسن الملك فاروق الاقتراح بترشيحه زعيماً جديداً للإخوان المسلمين، ورأى أنه الشخص المناسب الذى يمكن أن يقود قاطرة الإخوان ليقف بها فى محطة القصر الملكى..!

بعد أن لقى المستشار حسن الهضيبى الموافقة المطلوبة، تكفل الشيخ أحمد حسن الباقورى بترويجه فى سوق الإخوان المسلمين غير المعتقلين، فكان الباقورى يأتى إلى الإخوان المسلمين من كبار السن فيقول لهم إن حوادث القتل والإرهاب أحدثت فزعاً فى نفوس المواطنين وأوجدت الخوف والرعب لدى الناس من الإخوان المسلمين، وأصبح لزاماً علينا الآن أن نختار قيادة مسالمة ذكية وقورة، إلى آخر الصفات التى يمكن أن تنطبق على حسن الهضيبى، الذى كان الباقورى يطرح اسمه، بعد أن يجد الموافقة لدى هؤلاء على فكرته.

أما آباء المعتقلين من شباب الإخوان فكان الباقورى يأتى إليهم ويقول لهم إن أبناءهم لن يخرجوا من معتقلات الحكومة إلا إذا جاء المستشار حسن الهضيبى زعيماً للإخوان، فهو على علاقة طيبة بالملك والقصر، كما أنه على علاقة طيبة بالإخوان،

ولهذا فهو الوحيد الذى يمكنه عقد المصالحة بين الحكومة والإخوان، والتى فى إطارها يمكن أن تفرج الحكومة عن المعتقلين فى السجون من شباب الإخوان.

واستطاع الباقورى، وفقاً لهذا المنطق التصالحى والمصلحى، أن يحصل على موافقة أولئك الآباء الذين كان يضنيهم كثيراً وجود أبنائهم فى المعتقلات، انتظاراً للمصير المجهول.

كذلك طرح الباقورى فى إطار خطته لترويج المستشار حسن الهضيبى فى أوساط الإخوان، فكرة أن وجود رجل قانون مثل المستشار حسن الهضيبى على رأس الإخوان المسلمين، سوف يكون عاملاً مهماً فى إزاحة ما علق فى أذهان الناس من وصف الإخوان بالإرهاب والخروج على القانون، بعد أن أصبح زعيمهم ومفكرهم وقائدهم ورجل قانون مستشاراً فى الهيئة القضائية.

وأخيراً.. نجح الباقورى فى إقناع غالبية الإخوان الذين كانوا قد عانوا الكثير فى المعتقلات من جراء حوادث القتل والعنف، كما عانوا من الإجراءات التعسفية التى قامت بها الحكومة حيالهم بعد تلك الحوادث، فراحت نفوسهم اليائسة والتعبة تبحث لها عن مخرج من هذه الأزمة، التى طال مكوثهم فيها نتيجة للعنف والعنف المضاد بينهم وبين الحكومة.. وأخيراً وجدوا هذا المخرج لهم من أزمتهم الطاحنة فى الفكرة التى كان يروج لها الشيخ الباقورى بدأب وذكاء، وهى تعيين المستشار حسن الهضيبى زعيماً للإخوان المسلمين.

الورشة ترفض

استطاع الشيخ الباقورى أن يعقد البيعة للمستشار الهضيبى، من بعض «رجال المعرض»، أما «رجال الورشة» السريون وهم عصب الإخوان وقوتهم، فقد رفضوا

مبايعة الهضيبى أو أى أحد غيره، وقد أصدر زعيمهم عبدالرحمن السندى، من معتقله، تعليماته المشددة إلى أعضاء جهازه الخاص بأن يتجنبوا الدخول فى لعبة اختيار مرشد جديد للإخوان، قبل أن يسمح للجماعة بممارسة نشاطها الشرعى، وكان الهدف من ذلك، كما هو واضح فى رأى عبدالرحمن السندى، ألا يكون المعتقل ورقة للضغط على الإخوان ليقبلوا بالبيعة للمرشد الجديد.

والأكثر من ذلك أن عبدالرحمن السندى أكد لأعضاء جهازه الخاص أن المرشح الجديد حسن الهضيبى ما هو إلا عميل لفاروق.. وقد أكد الهضيبى نفسه هذا المعنى حين قابل فاروق بعد حصوله على مبايعة الإخوان له، وخرج من تلك المقابلة ليصفها للصحفيين بأنها «مقابلة كريمة من ملك كريم».. وقد نشرت جميع الصحف الصادرة فى يناير ١٩٥١ هذا التصريح الذى أكد فيه الهضيبى ولاءه للملك فاروق دون مواربة أو تردد.

وقد بكى كثير من أعضاء الجهاز الخاص لدى سماعهم تصريح الهضيبى الذى أثنى فيه على الملك فاروق.. وقالوا: لقد قتل فاروق مرشدنا، ليصطنع لنا مرشداً من عنده..!

ساعة الصفر

لم يشأ الجهاز الخاص وأعضاؤه فى ظل هذه الظروف أن يفجروا الخلاف حتى لا ينكشف أمرهم، وكان الجهاز السرى، حتى ذلك الوقت، مجرد عفريت يسمع الناس عنه ولا يرونه. وظلت قواعده تتداول المعلومة القائلة بأن حسن الهضيبى هو رجل فاروق.. إلى أن جاء موعد قيام الثورة، وكان آخر اجتماع تمهيدى قبل قيام الثورة، عقده جمال عبدالناصر فى بيت عبدالرحمن السندى، قائد التنظيم السرى، أو الجهاز الخاص للإخوان المسلمين، وكان ذلك يوم ١٧ يوليو ١٩٥٢.

وكان الاجتماع بعيداً عن أعين الضباط الأحرار، لوضع اللمسات الأخيرة على سيناريو التحرك ليلة الثورة، وما يجب عمله لنجاحها.

بين الثورة.. والحركة

وقد ناقش السندى وعبدالناصر فى هذا الاجتماع كل شىء بالتفصيل، حتى الاسم، وحينما جاء الوقت لمناقشة اسم العملية طرح عبدالناصر اسم «الثورة المباركة»، ولكن السندى خالفه فى ذلك معترضاً، وطلب تسميتها «الحركة المباركة»، لأن الحس الإسلامى لا يستريح لكلمة ثورة، التى لازمت جماعة الخوارج الشهيرة طوال تاريخهم.

الثورة إخوانية

ومن ضمن ما أكده عبدالرحمن السندى فى هذا الاجتماع مع عبدالناصر، هو أن تتسم أول قرارات الحركة المباركة بالانحياز إلى الإخوان المسلمين فى بعض القضايا المعلقة، مثل الإفراج الفورى عن جميع المعتقلين من الإخوان المسلمين، واستثناء المعتقلين الشيوعيين والماركسيين من قرار الإفراج.. والقبض على إبراهيم عبدالهادى، رئيس الوزراء السابق وتقديمه إلى المحاكمة بتهمة التدبير لقتل حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين، وفى المقابل يصدر القرار الفورى بالإفراج عن أعضاء الإخوان المتهمين بقتل محمود فهمى النقراشى، رئيس الوزراء الأسبق الذى قتله الإخوان.

وكان من شأن هذه القرارات، كما رأى عبدالرحمن السندى، وصدورها كأول قرارات للحركة الجديدة، أن تشعر الرأى العام فى مصر والعالم بأن الحركة الجديدة تنتمى بشكل واضح إلى جماعة الإخوان المسلمين.

وفضلاً عن ذلك كله، طلب عبدالرحمن السندى من جمال عبدالناصر فى حال نجاح الثورة وانتقال السلطة إلى يدها، أن يصدر أمر باعتقال حسن الهضيبى، ضمن من سوف تصدر الأوامر باعتقالهم من رؤساء الأحزاب والسياسيين.

ولكن رؤية عبدالناصر لهذا الأمر كانت أكثر نفاذاً من رؤية السندى، حين قال عبدالناصر له معترضاً إن مياهاً كثيرة قد تدفقت فى النهر، وكان عبدالناصر يقصد بذلك تلك الألوف الكثيرة التى انضمت إلى حركة الإخوان إثر حرب فلسطين، ولم يكن لتلك الأعداد الكبيرة أى علاقة أو علم بالجهاز الخاص، ولا ولاء لها إلا للمرشد المعلن، فهى تنتمى «للمعرض» ورئيسه، ولا علاقة لها «بالورشة»، وما يحدث فيها.

وأضاف عبدالناصر توضيحاً لرأيه أن حسن الهضيبى قد نجح فى استقطاب أعداد كبيرة من صفوف الإخوان، الذين انضموا حديثاً إلى الإخوان، خاصة بعد أن رأوا الحكومة تغض الطرف عن نشاطهم المعلن، وأن الهضيبى يستقبل المئات منهم فى المسجد المواجه لبيته فى «الروضة».

وقد رأى عبدالناصر أن القبض على حسن الهضيبى سوف يفسد الانطباع لدى الرأى العام بأن الحركة الثورية الجديدة هى حركة الإخوان المسلمين.. وكان رأى عبدالناصر بذلك هو الأصوب من رأى عبدالرحمن السندى الذى لم يكن يرى فى تلك اللحظة غير تصفية حساباته مع فاروق قاتل الشيخ البنا، وذلك فى شخص حسن الهضيبى.

obeikandl.com

لولا مباركة الملك فاروق ..
لما اختار «الإخوان المسلمين» الهضيبى مرشداً لهم

3

عبد الناصر يرفض اعتقال الهضيبى

■ هل كانت ثورة ٢٣ يوليو ثورة إسلامية أم إخوانية؟

- يؤكد المستشار الدمرداش العقالى- أحد أبرز أعضاء الجهاز السرى للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت- أن الإجابة عن ذلك السؤال هى نعم.. لقد كانت ثورة إسلامية!

ويقول العقالى إن ثورة ٢٣ يوليو حاولت ومنذ اللحظة الأولى لميلادها أن تؤكد وجهها الإسلامى.. وذلك عبر أول قرارات صدرت عن قيادتها، وكانت تلك القرارات هى آخر ما تم الاتفاق عليه بين عبدالناصر والقيادة الشرعية لحركة الإخوان المسلمين- عبدالرحمن السندى- وذلك فى الاجتماع الذى ضمهما يوم ١٧ يوليو.. أى قبل قيام الثورة بخمسة أيام فقط.

obeikandl.com

وقد ذهب عبدالناصر إلى الاجتماع مع السندى ليضع معه اللمسات الأخيرة للتحركات المقررة ليلة الثورة.. والقرارات التى ينبغى إصدارها للإعلان عن الوجه الحقيقى لها.. وهو الوجه الإسلامى الذى تم الاتفاق عليه، والذى كانت ملامحه تتمثل فى ضرورة أن تصدر قيادة الثورة- أول ما تصدر من قرارات- قراراً بالإفراج عن جميع المعتقلين من الإخوان المسلمين ومن بينهم قتلة النقراشى باشا رئيس وزراء مصر الأسبق، كما تصدر قراراً باعتقال إبراهيم عبدالهادى وهو رئيس الوزراء الذى نكل بالإخوان وملأ بهم السجون والمعتقلات.. وتأكيداً لوجه الثورة الإسلامى اتفق عبدالناصر والسندى على إطلاق اسم «الحركة المباركة» على عملية التغيير بدلاً من تعبير «الثورة».

ولم يكن هناك محل للخلاف بين عبدالناصر والسندى على كل النقاط السابقة، ولكن بدأ الخلاف حينما طرح السندى مسألة القبض على المستشار الهضيبى، المرشد العام للإخوان المسلمين، والذى كان فاروق قد نجح فى توصيله إلى هذا المنصب على غير رغبة عبدالرحمن السندى الذى كان يعتبر نفسه القائد الشرعى لحركة الإخوان بعد اغتيال حسن البنا.

وكان رأى عبدالناصر أن قراراً تصدره الثورة باعتقال زعيم الإخوان سوف يمحو الانطباع الذى تركته القرارات السابقة فى أذهان الجماهير والذى يطبع الثورة بالطابع الإسلامى الواضح.. وكان ذلك أول الخلافات بين عبدالناصر والقيادة الشرعية لحركة الإخوان.

ولكن عبدالرحمن السندى- وأمام هذا المنطق القوى الذى أبداه عبدالناصر بشأن عملية اعتقال الهضيبى- لم يجد أمامه غير الخضوع لجمال عبدالناصر ولكن بشرط.. هو تأجيل اعتقال حسن الهضيبى انتظاراً لموقفه من القرارات الخاصة

بالإفراج عن قيادات الإخوان المسلمين وأعضاء التنظيم.. خاصة المتهمين منهم باغتيال النقراشى.. وقال السندى إذا وافق الهضيبى على تلك القرارات وباركها يبقى حراً دون اعتقال.. أما إذا هاجمها، وهنا قال له عبدالناصر «سوف أعتقله فوراً» فوافق السندى.

شرعية الثورة

وفى يوم ١٩ يوليو- يقول العقالى- أى بعد اجتماع السندى وعبدالناصر بيومين، وقبل قيام الثورة، صدرت إلينا الأوامر- نحن أعضاء الجهاز السرى الذين لم يشملهم أمر الاعتقال، لعدم انكشاف سرنا- بالتوجه فوراً إلى قرى الإسماعيلية الملاصقة لمعسكرات الإنجليز فى منطقة القناة، واحتلال الطريق، وكل الطرق المؤدية إلى مدينة القاهرة، ولم نكن نعلم بالسر من وراء ذلك التحرك المفاجئ، وذهب تفكيرنا إلى أنه ربما قررت قيادتنا إعادة ما كان يعرف باسم «كتائب القناة» وهذه الكتائب التى كانت تنتمى إلى الإخوان وتقوم ببعض الأعمال الفدائية ضد المعسكرات الإنجليزية بمنطقة القناة، ولكنها توقفت عن عملها إثر حريق القاهرة، والأحداث التى تلته.

ولكن بعد قيام الثورة ونجاحها فى الاستيلاء على السلطة بالبلاد عدنا إلى القاهرة ليخبرنا عبدالرحمن السندى بأن ذهابنا إلى القناة بهدف تأمين الثورة ضد القوات الإنجليزية فيما لو تحركت لإجهاض الثورة والدفاع عن الملك.. وأخبرنا السندى أن ذلك كان باقتراح عبدالناصر فى إطار احتياطاته لتأمين الثورة..

وكان عبدالناصر قد قال للسندى إنه لو تحركت القوات البريطانية نحو القاهرة للتصدى لقوات الثورة، فسوف نشتبك معها، ولكن المعركة فى هذه الحالة سوف تكون فى نظر العالم بين جيش وجيش، وربما نجح الإنجليز عبر جهازهم الإعلامى

الواسع فى تصوير الثورة على أنها مجرد تمرد فى صفوف القوات المصرية ضد نظام الحكم، وبالتالى فإن هذا التمرد يفتقد إلى الشرعية، وإن تحرك القوات البريطانية للدفاع عن الملك سوف يبدو فى نظر العالم على أنه دفاع عن الشرعية والدستور، ضد حركة تفتقد إلى الشرعية وتخرق الدستور.

من هنا كان إصرار عبدالناصر على ضرورة إشراك الشعب بمختلف طوائفه ضد تحرك القوات البريطانية- أو حتى قوات الملك- فيما لو تحركت تصدياً للثورة. وقد جاء تحركنا إلى منطقة القناة لتحقيق هذا الهدف، انتظاراً للأوامر ليس فقط بالاشتباك مع القوات البريطانية المتحركة من قواعدها بالقناة فى اتجاه القاهرة، بل وتأليب الجماهير على تلك القوات لإظهار الثورة فى إطار شعبى لا يفتقد إلى الشرعية.

وقامت الثورة ولاقت من التأييد الشعبى ما لم يكن فى حسبان أى ممن خططوا لها، وأوفى عبدالناصر بكل التعهدات التى قطعها على نفسه أمام عبدالرحمن السندى، فأفرج عن جميع المعتقلين من الإخوان بمن فيهم قتلة النقراشى، كما أصدر أوامره باعتقال إبراهيم عبدالهادى وأدخله السجن.. إلى آخر ما تم الاتفاق عليه بين عبدالناصر وعبدالرحمن السندى.

الهضيبى يرفض

ولكن ما إن صدرت تلك القرارات حتى هاج حسن الهضيبى وملأ الدنيا ضجيجاً.. رفضاً لقرارات الإفراج عن الإخوان بحجة أنهم إرهابيون وقتلة وسفاكو دماء وأن ذلك ليس من الإسلام الذى يدعو إلى الله «بالحكمة والموعظة الحسنة».. كما قال حسن الهضيبى مبرراً رفضه لقرارات الثورة بالإفراج عن الإخوان المسلمين.

عند ذلك ذهب عبدالرحمن السندى إلى جمال عبدالناصر ليطالبه بالوفاء بوعده الذى كان قد قطعه على نفسه بالقبض على حسن الهضيبى إذا ما هاجم قرارات الثورة بالإفراج عن الإخوان المسلمين.. ولكن عبدالناصر رفض فخرج السندى من عنده غاضباً.

قرر عبدالناصر – الذى كان وزيراً للداخلية فى ذلك الوقت– الاجتماع بالقواعد الطلابية لتنظيم الإخوان المسلمين ليشرح لهم أسباب الخلاف بينه وبين السندى حول مسألة اعتقال الهضيبى.

كنت يومها طالباً بكلية الحقوق فى جامعة فؤاد الأول– جامعة القاهرة الآن– وكنت وكيلاً لرئاسة اتحاد طلابها، فذهبنا للاجتماع بعبدالناصر الذى أخذ يشرح لنا كيف أن اعتقال الهضيبى الآن سوف يثير الكثير من المشاكل والمعوقات فى طريق الثورة الوليدة.. وقال عبدالناصر إن الثورة أعدت مشروعاً لقانون الإصلاح الزراعى، تنوى إصداره خلال أيام، فإذا أصدر أمراً باعتقال الهضيبى الآن فقد تأييد الإخوان للثورة، وهو التأييد الذى تحتاجه الثورة لمواجهة الآثار المحتملة لصدور قانون الإصلاح الزراعى فى أوساط الإقطاعيين والطبقات الغنية والرأسمالية، وإذا فقدت الثورة تأييد الإخوان لها فسوف ينضمون– بطبيعة الحال– إلى صفوف الإقطاعيين فى تحالف مضاد ليست لدى الثورة الوليدة القدرة على مواجهته..

ولهذا فإنه يرفض اعتقال الهضيبى وإثارة الإخوان ضده.. وإن ذلك ليس أكثر من خطوة تكتيكية ولا يعنى أكثر من ذلك.. وإنه مضطر لتحمل الهضيبى وهجومه على الثورة لهذا السبب وحده، كما أنه لا يريد أن يفقد تأييد قواعد الإخوان للثورة بعد أن فقدت تأييد قادتها.

وقال عبدالناصر إنه سوف يؤجل قراره باعتقال الهضيبى حتى صدور قرارات

الإصلاح الزراعى، فإذا عارضها الهضيبى عندئذ لابد من اعتقاله.

وقد صدرت قرارات الإصلاح الزراعى بالفعل فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢، أى بعد قيام الثورة بشهر ونصف تقريباً، وما كاد الهضيبى يسمع بها حتى ثار ضدها رافضاً.

المواجهة إخوانية.. إخوانية

وهنا ذهب عبدالرحمن السندى إلى جمال عبدالناصر ليطلب منه اعتقال الهضيبى للمرة الثالثة، وربما الرابعة، لكن عبدالناصر رفض أيضاً، كما رفض فى المرات السابقة، فقال له عبدالرحمن السندى إننى أتهمك باللعب على الخلاف بين قيادات الإخوان تمهيداً لتصفية الحركة كلها، لحسابك الخاص، فإما أن تعطى وفاءك للدعوة التى أمثل أنا قيادتها كما جاء فى وصية حسن البنا فتنفذ أوامرى فيما اتفقنا عليه معاً، وإلا كان لك خبئ آخر تنوى القيام به لحسابك وبعيداً عن حركة الإخوان وقيادتها الشرعية.

لم يغضب عبدالناصر لدى سماعه تلك الاتهامات الصريحة التى ألقاها فى وجهه عبدالرحمن السندى، ولكنه تضاحك معه، وأخذ يهدئ من روعه ثم قال له:

لماذا تطالبنى أنا بالقضاء على الهضيبى، وتحملنى مسؤولية دمه أمام الإخوان فى الحركة؟ ولماذا لا تقومون أنتم- فى الجهاز السرى- باتخاذ القرار وتنفيذه بتصفية حسن الهضيبى.. بعيداً عنى، ويعلن الإخوان أنهم صححوا وضعهم بأيديهم، وأنا من جانبى سأقر هذا التصحيح؟!

ابتلع عبدالرحمن السندى الطعم الذى وضعه له جمال عبدالناصر، فأرسل فى يناير ١٩٥٣ مجموعة من الجهاز الخاص، اقتحمت منزل الهضيبى بعد صلاة الجمعة- وكنت أنا واحداً من تلك المجموعة- وطلبنا منه أن يستقيل، وقال له المتحدث باسم الجماعة محمود فرغل- رحمه الله- «لست مرشدنا ولا نحن اخترناك،

وجئنا نطلب منك أن تحل عنا بالحسنى».

كان محمود فرغل أحد المشاركين فى قتل محمود فهمى النقراشى، رئيس الوزراء الأسبق، ودخل المعتقل ليمضى فترة العقوبة حتى أفرجت عنه الثورة ضمن من أفرجت عنهم من الإخوان المسلمين فى أول القرارات التى صدرت عنها.. وهو القرار الذى أثار حفيظة حسن الهضيبى وأخذ يهاجمه، فكان محمود فرغل أكثر الحانقين على الهضيبى بسبب مهاجمته قرار الإفراج عنه وزملائه من قتلة النقراشى باشا.

وحين ذهب فرغل على رأس المجموعة من الجهاز الخاص إلى بيت الهضيبى.. ارتعد الأخير خوفاً ورعباً، ووعد بتقديم استقالته فوراً نزولاً على رغبة الجهاز الخاص، واستأذننا فى الدخول إلى غرفة المكتب ليحضر ورقة وقلماً ليكتب استقالته.

دخل الهضيبى إلى إحدى غرف بيته، وطال انتظارنا، حتى فوجئنا بدخوله علينا ومعه قوة من جنود الشرطة على رأسها أحد الضباط.. وأشار الهضيبى إلينا قائلاً: «هؤلاء هم يا حضرة الضابط».

تظاهر الهضيبى بإحضار ورقة وقلم حين دخل إحدى الغرف ببيته، ولكنه كان ينوى الهرب من الباب الخلفى لمنزله ليستعين بالشرطة فى التخلص منا.. وكانت نقطة الشرطة مجاورة لبيته بالروضة ولا تبعد عنه سوى بضعة أمتار فقط.

فشلنا مع الهضيبى

يبدو أن ضابط الشرطة الذى استعان به الهضيبى للقبض علينا لم يكن يعرف الهضيبى، لم تكن أجهزة الإعلام فى ذلك الوقت بمثل هذا الانتشار الواسع الذى هى عليه الآن، وقد فهمنا ذلك حين بادرنا سائلاً:

«ماذا تريدون من هذا الرجل ولماذا تهجمون عليه فى بيته؟»

فأجبناه نحن بسؤال جماعى: «هل تعرف هذا الرجل ومن يكون؟»

قال الضابط: إنه مواطن ولا يهمنى أن أعرف من هو؟

قلنا له: إنه المرشد العام للإخوان المسلمين.

يبدو أن الضابط قد فوجئ فسكت قليلاً ثم قال: ولو.. لماذا جئتم إلى بيته؟

قلنا له: لأننا نحن الإخوان المسلمين!!

سكت الضابط.. وأخذ يتفرس فى وجوهنا مندهشاً، ثم كان علينا أن نزيل إحساسه بالحرج والدهشة فقلنا له: على أى حال.. إذا كان هو لا يريدنا فى بيته، فقد جئنا إليه لنقول له إننا لا نريده فى بيتنا. لم يجد الضابط ما يفعله معنا.. فخرج وتركنا مع الهضيبى الذى طالبنا بالخروج لأننا غير مخولين بقبول استقالته، فخرجنا ونحن نتوعده.

كنا قد اتفقنا مع عبدالرحمن السندى على أننا سوف نحصل من الهضيبى على الاستقالة ونذهب بها إليه فى مقر المركز العام «بالحلمية» ليعقد مؤتمراً عاماً يعلن فيه استقالة حسن الهضيبى من رئاسة الإخوان المسلمين.. ولكنا ذهبنا إلى مقر الحلمية نجر أذيال خيبتنا بعد أن فشلنا فى الحصول على الاستقالة، واجتمع بنا عبدالرحمن السندى وأخذنا نتدارس الموقف من جميع جوانبه وماذا علينا أن نفعل بعد فشلنا فى إقالة الهضيبى.

حل علينا الليل ونحن فى نقاش لا ينتهى مع عبدالرحمن السندى، وإذا بنا نفاجأ بجموع تسد جميع الشوارع المؤدية إلى المركز العام للإخوان المسلمين بحى الحلمية، وتعالت هتافاتهم تطالب بإهدار دمنا.

فقد وجدنا أنفسنا محاصرين بتلك الجموع الكبيرة التى تطالب بقتلنا، ولم نكن ندرى ماذا نفعل وكيف نتصرف إزاء هذا الموقف العصيب، ولكن عبدالرحمن السندى بحسه السرى والعسكرى، كان قد تحسب لهذا الأمر جيداً، حين فكر فى احتمال فشلنا فى الحصول على الاستقالة، ورد فعل الهضيبى إزاء مطالبتنا له بالاستقالة.

كان السندى قد أعد العدة لمثل هذا الموقف المحتمل، فأمر مجموعة من أنصاره بحمل المدافع الرشاشة واحتلال سطح المبنى المقابل لمبنى المركز العام وكان مخصصاً لجريدة الإخوان.. حتى إذا نجح الهضيبى فى تأليب أنصاره وتحريكهم ضدنا، تعامل معهم أنصارنا من حملة المدافع.

وحتى لا تقع مذبحة لا نريدها، أمسك عبدالرحمن السندى «بميكروفون» وأخذ يطالب الجموع التى حشدها الهضيبى ضدنا بالابتعاد والتفرق وإلا فسوف تحصدهم المدافع من فوق أسطح المنازل.. عندئذ تفرق البعض مؤثراً السلامة، وبقى الكثيرون منهم ليطلقوا الهتافات ضدنا.. وأخذنا فى التراشق بالهتافات، نحن من نوافذ مبنى المركز العام.. وهم بالشارع، حتى كانت الساعة الواحدة ليلاً، حينما فوجئنا بدخول ثلاثة رجال علينا مخترقين الحصار المضروب حولنا.

عبدالناصر المنقذ

كان هؤلاء الثلاثة هم: جمال عبدالناصر، وعبدالحكيم عامر، وعبدالعزيز كامل الذى كان عضو مكتب الإرشاد بالإخوان المسلمين وكانت تربطه علاقة وثيقة بجمال عبدالناصر لم نكن نعلم من أمرها شيئاً.. وقد تبين لنا فيما بعد أن الذى كان ينصح عبدالناصر بعدم اعتقال الهضيبى كما نصحه بعدم التمادى فى توطيد العلاقة مع عبدالرحمن السندى، هو عبدالعزيز كامل..

دخل عبدالناصر إلى حيث يجلس عبدالرحمن السندى وقال له: يا أخ عبدالرحمن.. ألم أقل لك إن النهر قد جرت فيه مياه كثيرة؟ هذه هى الجموع التى لم أكن أريد معاداتها للثورة، أو معاداة الثورة لها، ولكنك لم تكن تريد أن تصدقنى.

قال عبدالرحمن السندى معك حق.. قالها وطأطأ رأسه متحاشياً النظر فى عينى عبدالناصر الذى كان يبدو ساعتها منتشياً بصدق رؤيته للأمور.

وبدأ عبدالعزيز كامل فى الكلام فقال: يا أخ عبدالرحمن إن ترتيب بيتنا من الداخل كان يقتضى مهادنة حسن الهضيبى، ولكنكم أنتم الذين ربيتم له أنياباً وأطلتم له أظفاره، وجعلتم أصحاب المصلحة فى معاداة الثورة يلتفون حوله وإن كانوا من غير الإخوان.

على إثر ذلك، استقرت الأوضاع لصالح الهضيبى الذى خرج من المحنة أقوى مما كان قبلها، فقد أخذ الانطباع مما جرى له فى الأيام الأخيرة، بأنه أقوى من أن يقاوم، وقد ساعده ذلك على مزيد من التعنت فى وجه عبدالناصر وقطع الطريق على كل محاولات التفاهم أو الالتقاء التى كان يمكن أن تحدث بينه وبين جمال عبدالناصر، مما سارع فى دفع الأمور بينهما إلى التصادم.

الضربة الأخيرة

لقد أدرك الهضيبى أنه فى سباق مع الزمن، فلابد أن يستغل هذا النصر الذى حققه فى أول موقعة له مع الجهاز السرى، فى تجريد ذلك الجهاز الجبار من بقية أسلحته، كما أدرك أيضاً أن له من الجماهيرية ما يساعده على الوقوف فى وجه الثورة وإملاء شروطه عليها دون أن يخضع هو لشرط من شروطها.

أصدر الهضيبى قراراً بفصل جميع الإخوان الأعضاء بالجهاز السرى وكل المتعاطفين معهم مثل الشيخ الغزالى وصالح عشماوى وأحمد عادل كمال وأحمد زكى

حسن، وقد رد الغزالى على قرار الهضيبى بكتابة عدة مقالات اتهم فيها حسن الهضيبى صراحة بـ«الماسونية».. وقال إن حركة الماسونية العالمية نجحت فى زرع الهضيبى وتنصيبه مرشداً عاماً للإخوان المسلمين.

أما عبدالرحمن السندى فقد أصابه الإحباط، فقرر التوارى والانزواء جانباً، وقد بدأ عبدالناصر فى الإحساس بأن هناك قوى أخرى فى الشعب المصرى يحظى بتأييدها، بعيداً عن الإخوان المسلمين، وأن تلك القوى الشعبية تدين له بالولاء لما قدمه لها من مكاسب خاصة فى صفوف العمال والفلاحين، وقد تساعده تلك القوى الشعبية فى التخلص من ربقة الإخوان المسلمين وحرصه الدؤوب على إرضائها، فهى قوى تحمله ولا يحملها كما هو الحال مع الإخوان المسلمين الذين كان يشعر معهم بأنه مطالب بدفع فواتير المشاركة وتقديم الحسابات مقابل التأييد.. أما تأييد القوى الجديدة له فكان تأييداً بلا ثمن.. أو حسابات أو فواتير مطالب بسدادها أولاً بأول.

وكان عبدالناصر هو صاحب الفضل مع مؤيديه من القوى الجديدة.. بعكس القوى القديمة المؤيدة له من الإخوان المسلمين الذين كانوا يشعرون بأنهم هم أصحاب الفضل عليه وليس هو.

فى هذا الوقت الذى شعر فيه كل من حسن الهضيبى.. وجمال عبدالناصر بقوته وجماهيريته، كان لابد أن يقع الصدام بينهما.. وقد كان صداماً مروعاً أشبه ما يكون بالصدام بين نجمين أو نيزكين من نيازك الفضاء!

عبد الناصر يقرر حل «الإخوان المسلمين»..
ثم يذهب لزيارة قبر حسن البنا «ليشكو له الجماعة»

4

الهضيبى يستعد

ويقول الدمرداش العقالى: إنه فى اللحظة التى بات كل من الهضيبى وعبدالناصر يشعر فيها بقوته.. كان الصدام واقعاً بينهما لا محالة.

وقد بدأ الهضيبى فى إعداد العدة، استعداداً للحظة الاشتباك، فأصدر أوامره بفصل جميع أعضاء الجهاز السرى من التنظيم الخاص، الذى كان بزعامة خصمه اللدود عبدالرحمن السندى، ثم راح يشكل جهازه السرى الخاص الذى عهد به إلى يوسف طلعت.. وهو الذى راح ينتقى العناصر الموالية للزعيم حسن الهضيبى، بصرف النظر عن كون تلك العناصر تتمتع بالسرية المطلوبة من قبل تلك التنظيمات، مما أعطى الانطباع بأن الهضيبى يسعى لتكوين ميليشيا خاصة لتدافع

obeikandl.com

عنه، ويهاجم بها ولتحقيق بعض المآرب السياسية الخاصة وليس الغرض من تشكيلها خدمة الدعوة كما كان الأمر فى السابق حين فكر حسن البنا فى إنشاء ذلك الجهاز.

كان التنظيم السرى الجديد الذى عمل الهضيبى على تشكيله أداة لـ«الصدام» وليس أداة لـ«الدعوة»، وقد فرضت الظروف المحيطة فى ذلك الوقت هذا الهدف على زعيم الإخوان فرضاً، فقد كانت ظروفاً صدامية تمتلئ بالصراعات والمشاكل.. سواء كانت بين الإخوان والإخوان، أو بين الإخوان وعبدالناصر.

والغريب هنا أن يلجأ الهضيبى إلى تشكيل الجهاز السرى، وهو الذى كان فى حربه ضد عبدالرحمن السندى لا يجد ما يبرر به طلبه لحل هذا الجهاز غير شعار «لا سرية فى الإسلام».. ولكن مع توالى الأحداث وتشابكها كان يستحيل على «الهضيبى» أن يضمن سرية التشكيل لهذا الجهاز الجديد، فهى ظروف متسارعة لا يمكن معها العناية بالتربية الفردية للأعضاء، كما كان يحدث فى أيام الأستاذ حسن البنا.. إنما العناية فقط فى التحقق من الولاء للأستاذ الهضيبى.. وبالتالى فإن الولاء فى التنظيم الجديد كان للهضيبى شخصياً، وليس للدعوة كما كان الحال أيام البنا.

وقد ساعدت تلك الظروف على تسرب عدد غير قليل من أعضاء الجهاز القديم إلى تشكيلات الجهاز الجديد، بما فى ذلك يوسف طلعت نفسه، رئيس الجهاز، الذى كان عضواً بارزاً فى الجهاز القديم برئاسة عبدالرحمن السندى.. وقد شرع يوسف طلعت - مستفيداً من خبرته السابقة - فى تشكيل الخلايا بالقرى والمدن والمحافظات، ومنها خلية إمبابة برئاسة المحامى هنداوى سيد أحمد دوير، وهى الخلية التى قدر لها أن تلعب الدور الأكبر فى الصراع بين عبدالناصر والإخوان حينما وصل الصدام بينهما إلى قمته الدراماتيكية.

الصدام مبكراً

وحينما علم عبدالناصر بمحاولة الهضيبى إعادة بناء الجهاز السرى ليكون أداته فى الصراع بين الثورة والإخوان، حاول من جانبه وأد تلك المحاولة بأن بدأ الاشتباك مبكراً قبل أن ينجح الهضيبى فى استكمال بناء جهازه السرى، ليقضى على تلك المحاولة فى مهدها.

انتظر عبدالناصر الفرصة المناسبة لبدء الهجوم حتى جاءته يوم ١٢ يناير ١٩٥٤، وهو اليوم الذى كان مقرراً لإقامة احتفال بجامعة القاهرة بذكرى الشهداء من طلاب الجامعة.. وفى هذا الاحتفال بدأ الطلاب المنتمون للجهاز السرى للإخوان فى الاشتباك مع الطلاب المنتمين لهيئة التحرير، وهو أول التنظيمات السياسية التى أقامتها الثورة، وقام الطلبة الإخوان بحرق سيارة جيب عسكرية فى حرم الجامعة.

أدرك عبدالناصر أن الهضيبى بدأ يستعرض قوته الجديدة، متعجلاً الاشتباك مع الثورة لإرهابها.. حتى لا تفكر فى التعرض للجهاز الجديد قبل أن ينجح فى بنائه كاملاً.. ولكن عبدالناصر الذى لم تكن ترهبه مثل تلك المحاولات قبل التحدى مقرراً حل جماعة الإخوان المسلمين.

وفى أعقاب ذلك أراد عبدالناصر - الذى تفتقت عبقريته السياسية مبكراً - أن يشعر القيادات القديمة للإخوان المسلمين، والشارع السياسى المصرى بأنه فى صراع فقط مع قيادة الهضيبى، وليس مع الإسلام.. أى أن صراعه مع الإخوان صراع سياسى، وليس صراعاً دينياً، فتوجه بعد أيام من إصداره قرار حل جماعة الإخوان المسلمين إلى قبر حسن البنا، وبرفقته عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة، وفى مشهد تاريخى وقف عبدالناصر أمام القبر ليخطب مناشداً قواعد الإخوان، أنه لم يكن أبداً نقيضاً للإسلام، وليس لديه ما يدعو إليه غيره، وأنه جندى مخلص من

كتائب الدعوة الإسلامية، والنهوض بأوطانه.

وقد كان عبدالقادر عودة، القطب الإخوانى البارز، وعبدالرحمن البنا، شقيق حسن البنا فى استقبال عبدالناصر عند وصوله إلى القبر، وبعد أن ألقى عبدالناصر كلمته، رد عليه عبدالرحمن البنا قائلاً: إن مجيئك هنا يؤكد زعامتك لهذه الأمة وانتماءك الصحيح لدينها الحنيف، وإخلاصك غير المنقوص للدعوة إليه، وطلب عبدالرحمن البنا من جمال عبدالناصر أن يفرج عن الإخوان المعتقلين الذين كانت قد مضت أيام على اعتقالهم فى أحداث جامعة القاهرة.

وقد نجح عبدالناصر بحنكته السياسية التى دفعته لاتخاذ تلك الخطوة فى سحب البساط من تحت أقدام خصمه حسن الهضيبى، فقد لاقت كلمته المؤثرة التى ألقاها على قبر البنا استحسان الكثيرين من قواعد الإخوان وقياداتهم، وخففت فى نفوسهم الأثر السيئ الذى أحدث قراره بحل الجماعة.

الإخوان مطلوبون

وفى أواخر فبراير من نفس العام ١٩٥٤ اشتدت وطأة الصراع بين عبدالناصر ومحمد نجيب داخل مجلس قيادة الثورة للأسباب التى يعلمها الجميع.. وقد حاول كل منهما أن يستقطب الإخوان إلى جانبه، فقام عبدالناصر باتخاذ قرار مفاجئ للجميع، بأن أفرج عن جميع الإخوان المعتقلين بمن فيهم حسن الهضيبى خصمه اللدود، وزاد المفاجأة وقعاً بأن توجه فى مساء نفس يوم الإفراج إلى منزل الهضيبى ليزوره ويطيب خاطره، ولكن الهضيبى قابل هذه المبادرة باستعلاء وعجرفة تجلت واضحة فى لحظة مغادرة عبدالناصر لبيت الهضيبى الذى لم يكلف نفسه مصاحبة عبدالناصر حتى باب الخروج من المنزل.

وجاءت أحداث ٢٥ مارس التى عرفت فى التاريخ باسم «أزمة مارس» والتى

اشتد فيها الصراع بين عبدالناصر ومحمد نجيب والتى لعب فيها الإخوان دوراً مؤثراً، وهنا يجب التوقف قليلاً عند علاقة عبدالناصر بالمرحوم عبدالقادر عودة الذى تسبب إعدامه مع آخرين فى تعقيد الموقف بين عبدالناصر والإخوان.

لقد كانت العلاقة بين عبدالقادر عودة وعبدالناصر حسنة جداً، حتى إنها لم تتأثر باشتداد الخصومة والصراع بين عبدالناصر والهضيبى، وحينما أصدر عبدالناصر قراره باعتقال قيادات الإخوان كان عبدالقادر عودة هو الوحيد من بينهم جميعاً الذى استثنى من قرار الاعتقال، بل سمح له بزيارة السجن الحربى حيث كان الإخوان يمضون فترة الاعتقال.

وكان عودة يحاول جاهداً خلال زيارته تلك التقريب بين قيادات الإخوان وعبدالناصر سعياً لعقد المصالحة بين الجانبين.. وكان يقول - ويكرر - إنه لا يوجد مبرر للصدام مع عبدالناصر أو الثورة، قد يوجد مبرر للخلاف ولكنه لا يرقى إلى مستوى الصدام، خاصة أن كل القرارات التى اتخذها عبدالناصر حتى الآن لها ما يسندها فى الشريعة الإسلامية.

هذا هو رأى عبدالقادر عودة الذى كان يجاهر به فى وجوه الإخوان فى ذلك الوقت، فما الذى حدث إذن حتى ما كاد ينتهى عام ١٩٥٤ حتى كان عبدالقادر عودة معلقاً على أعواد المشانق بأمر عبدالناصر.

مؤامرة شيوعية

كان الشيوعيون فى ذلك الوقت يحاولون الإيقاع بين عبدالناصر والإخوان، وفى الصراع المحتدم بين الطرفين - عبدالناصر والإخوان - أخذ الشيوعيون جانب الإخوان ضد عبدالناصر.

نجح الشيوعيون فى تنظيم مظاهرة طلابية كبيرة خرجت من جامعة القاهرة

متجهة إلى قصر عابدين، وقد أطلق الشيوعيون - بخبث - بعض الشعارات الإسلامية لاستقطاب قواعد الإخوان فى هذه المظاهرة، وكانت تلك الشعارات تطرح بالتدريج إلى أن وصلوا إلى ميدان التحرير كانت الشعارات «إسلامية - قرآنية».. وحين وصلوا إلى ميدان عابدين بدأت الهتافات فى الهجوم على عبدالناصر.

لقد خرجت تلك المظاهرة الحاشدة بعد أيام فقط من قرار عبدالناصر بالإفراج عن الإخوان المسلمين، الذى كان عبدالناصر يتصور أنه بمجرد صدوره فسوف تتم المصالحة بينه وبين الإخوان المسلمين، ثم إنه توجه - فى إشارة واضحة - إلى بيت الهضيبى لتطييب خاطره، وإن كان اللقاء الذى تم بينهما قد جاء فاتراً، إلا أنه لم يكن يستوجب مثل هذا التصعيد وهذه الدرجة من تسخين الأجواء وتسميمها.

وقد زاد الأمر تداعياً أن أحد الإخوان البلهاء السذج - وفى الإخوان كثيرون من هذا الطراز - توجه إلى عبدالقادر عودة بمكتبه بميدان الأوبرا وكان معه إبراهيم الطيب، وقد حاول ذلك الإخوانى استغلال خصومة كانت واضحة بين عودة والهضيبى حين عزله الهضيبى من منصب وكيل الجماعة وجاء مكانه برجل آخر هو محمد خميس حميدة، مما ترك أثراً سيئاً فى نفس عبدالقادر عودة تجاه المرشد العام حسن الهضيبى.

كانت الخصومة بين عودة والهضيبى أمراً معروفاً لكل إخوانى، فجاء هذا الأخ إلى عبدالقادر عودة ليقول له: من الذى أمر بتحريك هذه المظاهرة الضخمة أمام قصر عابدين؟ وكان عبدالقادر عودة لا يعلم شيئاً من أمر هذه المظاهرة، فكان طبيعياً أن يسأل محدثه: أى مظاهرة تقصد؟

قال الرجل بخبث: أليس لك علم بها؟! كيف وأنت القيادى الإخوانى البارز؟

أيقن أن خصمه الهضيبى هو الذى قام بتحريك تلك المظاهرة فأراد أن يفسد عليه الطبخة، وفى نفس الوقت لم يكن عودة يريد - مخلصاً - تفاقم الخصومة بين الإخوان وعبدالناصر، فقرر التوجه فوراً إلى ميدان عابدين القريب من مكتبه ليقود المظاهرة بنفسه ويوجهها بعيداً عن الهجوم على الثورة وعبدالناصر.

وما إن وصل عودة إلى مكان المظاهرة حتى رآه بعض الشيوعيين الخبثاء، فرفعوه على الأعناق عنوة، وقد كان عودة رجلاً عاطفياً جياشاً وتعالت الهتافات الشيوعية الخبيثة «الله أكبر ولله الحمد» ثم وضعوا فى أيديه وهو على أعناقهم قميصاً ملوثاً بدم أحد القتيلين، اللذين كانا قد سقطا برصاص الجيش أثناء تصديه للمظاهرة عند كوبرى قصر النيل، وهى فى طريقها إلى قصر عابدين.. وقالوا لعودة إن عشرات القتلى قد سقطوا على كوبرى قصر النيل، فاهتزت عاطفته أمام منظر الدم وعدد القتلى الذين سقطوا كما جاء على ألسنتهم كذباً.

وفى هذه الأثناء ظهر فى شرفة القصر عبدالناصر ومعه عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة، فرأوا عبدالقادر عودة وهو يلوح بالقميص الملوث بالدم وهو يهتف «هذا عمل المفسدين.. هذا عمل المجرمين».

ظن عبدالناصر أن عبدالقادر قد تحول عن تأييده له، وأنه هو الذى دبر هذه المظاهرة، ومع ذلك أراد أن يتحقق بنفسه من حقيقة الموقف، وحينما وصل «عودة» اقترب منه عبدالناصر مصافحاً فأبى أن يصافح عبدالناصر معتقداً أن المظاهرة للإخوان المسلمين، وأن القتلى الذين سقطوا كانوا منهم، وأنهم قُتلوا بأمر من جمال عبدالناصر، وفى نفس الوقت رأى عبدالقادر عودة أنه أصبح الآن فى الموقف الذى يسمح له بكسب تأييد الإخوان وثقتهم على حساب خصمه اللدود حسن الهضيبى، وأنه برفضه السلام على عبدالناصر أمام هذه الحشود الكبيرة التى كان يعتقد أنها من

الإخوان المسلمين، سوف تعطيه ورقة يلعب بها مع الهضيبى على زعامة الإخوان وقيادتهم، فوقف فى شرفة قصر عابدين على مقربة من عبدالناصر ليخطب فى المتظاهرين، خطبة حماسية انتهت بأن طلب منهم الانصراف.. فانصرفوا طائعين! وحينما رأى عبدالناصر المتظاهرين وهم ينصرفون صاغرين بمجرد أن طلب منهم عبدالقادر عودة ذلك، ازداد اعتقاده بأنه هو الذى دبر تلك المظاهرة ووجهها للهتاف ضده وضد الثورة، فأسرّها فى نفسه.

حسابات الأضداد

وبمجرد أن تخلص جمال عبدالناصر من محمد نجيب استدار بوجهه ليصفى حساباته مع الإخوان الذين ساندوا نجيب وتحالفوا معه، والحقيقة أن محمد نجيب، وقبل أن يشتد صراعه حدة مع عبدالناصر، أرسل رسله للاتصال بالإخوان طلباً للتأييد والعون ولكن الإخوان رفضوا الوقوف مع نجيب ليس حباً فى عبدالناصر - بطبيعة الحال - أو خوفاً منه فقد كانت تقديراتهم للموقف تقول إنهم لو تركوا عبدالناصر ونجيب يتصارعان بقواهما الذاتية دون معاونة منهم لأى من الطرفين، فإنهما سوف ينتهيان بالفناء معاً بما يفتح الطريق لهم لكى يتقدموا فيه دون مزاحمة، أما إذا قدموا مساعدتهم لأى من الطرفين فسوف يقوى موقفه بهم فيخرج منتصراً ليستدير عليهم فى نهاية الأمر.. ولهذا أصدر الهضيبى تعليماته للإخوان بأنه لا شأن لنا بالصراع الدائر بين (العسكر).

أما عبدالناصر فقد دخل الصراع مع نجيب وعينه لا تزال على الإخوان المسلمين، مقدراً أنه إذا لم يتمكن من استمالتهم إلى جانبه، فلا أقل من أن يحيّدهم، أو يحيّد بعضهم على الأقل، فتوجه بالحوار مع قطب إخوانى كبير كان لا يزال يثق به، وهو الشيخ محمد فرغلى، وهو واحد من مؤسسى جماعة الإخوان فى مدينة

الإسماعيلية، كما حارب فى فلسطين، وهناك تعرف على عبدالناصر.

ميثاق البندين

التقى عبدالناصر والشيخ فرغلى ونجح فى إقناعه بأنه لا مبرر للصراع بين الإخوان والثورة، وأن المصلحة الوطنية والدينية تقتضيان أن تتم مراجعة للعلاقة بينهما وأن يتجاوز كل منهما عن أى تجاوز حدث من أحدهما فى حق الآخر، ويعقدا ميثاقاً من بندين.. أولهما أن يقر الإخوان بشرعية الثورة فى أن تحكم مصر لمدة خمس سنوات لا تسأل فيها قيادة الثورة عما تقوم به خلال هذه السنوات الخمس، كما لو كانت تفويضاً شعبياً مدته خمس سنوات، وفى مقابل ذلك أن تطلق الثورة يد الإخوان فى تربية الشباب على الإسلام دون أن يتطرقوا إلى السياسة فى نفس المدة التى اتفقوا عليها، على أن يجرى الحساب بين الطرفين فى نهاية المدة المتفق عليها.. فاقتنع محمد فرغلى ببنود هذا الاتفاق ووقّع مع جمال عبدالناصر على وثيقة مكتوبة تتضمن ما تم الاتفاق عليه تفصيلياً.. وطلب عبدالناصر من الشيخ فرغلى أن يحصل على توقيع بقية أعضاء مكتب الإرشاد ومعهم الهضيبى على وثيقة الاتفاق، فوعده فرغلى بذلك.

وفكر عبدالناصر - بحنكته السياسية المعروفة - أن أعضاء مكتب الإرشاد سوف يرفضون التوقيع على الوثيقة فيكون الشيخ فرغلى شاهداً عليهم، وربما حدث انقسام نتيجة لذلك فى صفوف القيادة الإخوانية، أما إذا وافق الجميع على التوقيع على الوثيقة فسيكون عبدالناصر قد ضمن - على الأقل - حياد الإخوان أو فترة من الهدنة معهم تسمح له بالتفرغ لصراعاته الأخرى.. وهى كثيرة.

بقى عبدالناصر منتظراً الشيخ فرغلى ليأتيه بالتوقيع على وثيقة الاتفاق، ولكنه فوجئ باختفاء قيادات الإخوان وعلى رأسهم المستشار الهضيبى، فلم يكن أى منهم

فى بيته، كما لم يظهر فى أى مكان آخر مما اعتاد الظهور فيه.

وحينما علم عبدالناصر بأمر اختفائهم جميعاً، ارتاب فى الأمر، ولم يجد ما يفعله غير الانتظار.. متربصاً.

ولما جاء أكتوبر من عام ١٩٥٤، اكتشف عبدالناصر أن هناك بعض الفلول فى صفوف الجيش، والتى لا يزال ولاؤها لمحمد نجيب، كانت تدبر للقيام بحركة عسكرية بالتعاون مع الإخوان المسلمين بزعامة حسن الهضيبى.. ولولا اختفاء الهضيبى فجأة لما تمكنت أجهزة عبدالناصر من اكتشاف أمر تلك المحاولة، فقد أيقن عبدالناصر أن اختفاء الهضيبى وجماعته فجأة ما كان إلا لتدبير أمر له، فجد فى البحث عن ذلك الأمر مستنفراً كل أجهزته حتى تمكن من اكتشاف تلك المحاولة الانقلابية.

كان الهضيبى قد أصدر أوامره لجميع الأعضاء بجماعته بأنهم لا شأن لهم بما يحدث من صراعات بين العسكريين، خاصة بين محمد نجيب وجمال عبدالناصر، وحين وصلت تلك التعليمات إلى هنداوى دوير، رئيس الجهاز السرى بإمبابة، بدأ فى حسبة فردية يجريها لحسابه الخاص، وكانت تلك الحسبة تتلخص فيما حدث فى ميدان المنشية بالإسكندرية وهو ما عرف باسم «حادث المنشية» الذى تعرض فيه جمال عبدالناصر للاغتيال على يد محمود عبداللطيف، أحد أعضاء الجهاز السرى لتنظيم الإخوان المسلمين.

تقول الحكومة إن عملية الاغتيال كانت بتدبير مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان، خاصة عبدالقادر عودة وحسن الهضيبى.. وهذا ليس صحيحاً.. بينما يقول الإخوان إنها مجرد تمثيلية أخرجتها الحكومة لتكون مبرراً للقضاء على الإخوان المسلمين.. وهذا أيضاً ليس صحيحاً.. فقد كان حادث المنشية حادثاً فعلياً واقعياً وحقيقياً

تعرض فيه جمال عبدالناصر لمحاولة الاغتيال الفعلى على يد أحد أعضاء الجهاز السرى للإخوان، ولكن دون علم قيادات الإخوان التى تحملت مسؤولية ما حدث، والحقيقة أن المسؤولية فى ذلك كانت تقع على هنداوى دوير، رئيس الجهاز السرى للإخوان فى إمبابة.

---

obeikandl.com

obeikandl.com

حادث المنشية كان حقيقياً..
ولكن لماذا قال الإخوان إنه تمثيلية؟

5

هذه هى حقائق حادث المنشية

كلما اقترب عبدالناصر من الإخوان خطوة، ابتعد الإخوان عنه خطوتين، ومع كل محاولة كان يقوم بها عبدالناصر للوصول إلى حل لصراعه مع الإخوان، كانت تقابلها محاولات من جانبهم لتعقيد المسألة أكثر.

فقد رأينا كيف أنه بعد يومين فقط من قراره بالإفراج عنهم، استجابوا لدعوة الشيوعيين للقيام بمظاهرة ضده وضد الثورة، وفى الوقت الذى كان يتقرب فيه من عبدالقادر عودة وفرغلى وآخرون، كان هؤلاء جميعاً يعملون لحسابهم الخاص، وفى إطار طموحاتهم الشخصية، وبينما كان عبدالناصر يراهن على اقترابه من الإخوان، كان الإخوان يراهنون على صدامهم معه، فكان عبدالناصر يرى أن اقترابه من

obeikandl.com

الإخوان واقتراب الإخوان منه سوف يساعد على حل صراعاته على الجبهات الأخرى داخل مجلس قيادة الثورة وخارجه، بينما كان الإخوان يرون أنه بتصادمهم مع عبدالناصر -ولو افتعالاً- سوف يعملون على حل صراعاتهم مع بعضهم البعض. فالمكسب فى نظر أى منهم كان يقاس ببعد المسافة بينه وبين عبدالناصر، بينما كان عبدالناصر يرى مكسبه بقرب المسافة بينه وبينهم.

ولعل أصدق دليل على ذلك ما حدث فى ميدان المنشية، فيما عرف باسم «حادث المنشية»، الذى جرت فيه محاولة اغتيال عبدالناصر بالرصاص على يد محمود عبداللطيف، الذى جنده هنداوى دوير، رئيس الجهاز السرى بإمبابة، لإتمام عملية الاغتيال لحسابه الخاص، ومن وراء ظهر قيادة الإخوان، حين رأى هنداوى أن كلاً منهم يعمل لحسابه الخاص لإزاحة الآخرين من طريقه.. فأراد هو أن يتقدم الجميع وعلى حسابهم بعملية يجريها لحسابه الخاص.

يروى المستشار الدمرداش العقالى حقيقة ما حدث فى ميدان المنشية.. وخلفياته التاريخية، مزيحاً الستار لأول مرة عن بعض التفصيلات التى تساعد المؤرخين فى كشف حقيقة هذا الحادث الغامض، الذى كان يمثل لغزاً محيراً لكل من الفريقين.. الإخوان وأنصارهم، وعبدالناصر وأنصاره.

ويقول العقالى: إن الهنداوى دوير- وكان شابا يعمل بالمحاماة- قد أدرك أن الإخوان لا يريدون مساعدة محمد نجيب فى صراعه مع عبدالناصر، ففكر هو فى تقديم المساعدة له شخصياً حتى إذا خلصه من عبدالناصر تم حسم الصراع لصالح نجيب، الذى لابد أن يكافئ هنداوى لقاء ما قام به من خدمة جليلة.

تمثيلية واقعية

كان عبدالرحمن السندى -الزعيم القديم للجهاز السرى- يراقب الموقف من

بعيد، وكان له بعض الأنصار فى صفوف الجهاز السرى الجديد، الذى قام الهضيبى بتشكيله عقب إزاحة السندى والتخلص منه، وعن طريق هؤلاء الأنصار علم السندى بالمؤامرة التى يدبرها هنداوى دوير لاغتيال جمال عبدالناصر.

ويقول الإخوان فى تدليلهم على أن حادث المنشية كان مجرد تمثيلية دبرها جمال عبدالناصر للتخلص منهم، إن الرصاص الذى أطلقه الفاعل محمود عبداللطيف، كان «فشنك»، فى الوقت الذى تمكنت فيه الرصاصة الأولى التى خرجت من مسدسه من إزالة جزء كبير من المنصة الأسمنتية، التى كان يقف عليها جمال عبدالناصر، بينما لم تتمكن رصاصة أخرى من الرصاصات التى أطلقت من إحداث نفس الأمر، مما يعنى أنها كانت رصاصات «فشنك»، وأن الرصاصة الأولى فقط هى التى كانت حقيقية.

ويضيف الإخوان، أن الاتفاق قد جرى بين أجهزة عبدالناصر التى دبرت التمثيلية وبين الفاعل على أن يطلق الرصاصة الأولى وهى حقيقية فى المنصة، ثم يطلق بقية الرصاصات «الفشنك» على جمال عبدالناصر.

ولكن ذلك لم يحدث بطبيعة الحال، والذى حدث أن عبدالرحمن السندى حين علم بمؤامرة هنداوى دوير لقتل عبدالناصر، أراد أن يفشل المحاولة دون أن يعلم جمال عبدالناصر، وذلك فى إطار حسابات دقيقة أجراها السندى فى ذلك الوقت، فهو شديد الحرص على حياة عبدالناصر وبقائه على رأس السلطة، إذ باغتياله سيقوى موقف الهضيبى الذى لابد أن يستدير بعد ذلك ليفتح ملف الثورة من جديد، خاصة أن العهد بقيامها لايزال حديثاً، فيصفى الجهاز السرى القديم بكل أعضائه وعلى رأسهم بطبيعة الحال عبدالرحمن السندى، ومعه كل الذين شاركوا عبدالناصر فى التخطيط للثورة.

السندى يحبط المحاولة

أما لماذا لم يخطر عبدالرحمن السندى جمال عبدالناصر بالمحاولة عند علمه بها،

فذلك لأنه أراد أن تقع المحاولة فعلاً لتزيد من نقمة عبدالناصر على حسن الهضيبى فيقرر إعدامه.. وهو القرار القديم الذى ظل السندى يسعى لاستصداره، ولكن عبدالناصر كان يرفض اتخاذه، فمن ناحية أراد السندى أن تتم المحاولة ومن ناحية أخرى أراد أن تكون محاولة فاشلة للإبقاء على حياة عبدالناصر حماية له هو شخصياً.. فكيف يتحقق ذلك؟

لم يكن عبدالرحمن السندى مجرد عضو عادى فى التنظيم السرى، وهو تنظيم عسكرى مسلح، بل كان زعيمه ومؤسسه الذى يتمتع بخبرة كبيرة فى إطلاق النار وعلى دراية تامة بالحالة النفسية التى يكون عليها الشخص حين يشرع بإطلاق النار وسط الناس وفى الأماكن العامة.. وكان يعلم -كما قال لخاصته بعد الحادث- أنه يستحيل على هذا الشخص الذى يهم بإطلاق النار وسط الزحام مع حالة الخوف والرهبة، أن يحكم التصويب من الطلقة الأولى، ولكن يعود إلى التحكم فى تصويبه حينما يندمج بعد خروج الطلقة الأولى، التى يقضى بها على حالة التردد والرهبة التى كانت تنتابه عند الاستعداد للضرب وإطلاق الرصاصة الأولى.. فيحكم التصويب فى الرصاصات التالية.

خبرة طويلة

كانت تلك هى قناعات عبدالرحمن السندى التى أدركها بالخبرة الطويلة فى مجال العمل السرى والعسكرى ولهذا أرسل إلى محمود عبداللطيف، أحد أنصاره، ليبيت معه فى الفندق الذى أمضى فيه الليلة السابقة على الحادث، وهناك نجح فى حشو المسدس المستخدم برصاصة حقيقية واحدة هى الرصاصة الأولى التى قدر لها عبدالرحمن السندى أن «تطيش». ثم أكمل بقية الخزنة برصاصات من النوع «الفشنك» وهى التى قدر السندى لها أن تكون محكمة التصويب.

وجاءت تقديرات عبدالرحمن السندى للموقف سليمة مائة بالمائة فخرجت الطلقة الأولى لتزيل جانباً من المنصة، أما بقية الرصاصات فلم تحدث أى منها أى أثر بما يعنى أنها كانت رصاصات «فشنك» وذلك ما جعل الإخوان يقولون إنها تمثيلية، ولم تكن كذلك أبداً، والذى رأى عبدالناصر أو حتى سمعه فى تلك اللحظة- لحظة إطلاق الرصاص عليه- يستحيل أن يصدق وجود ذرة واحدة من الشك فيما حدث، فقد خرجت تعبيراته وكلماته عفوية وتلقائية لرجل تعرض للموت فعلاً، وليس افتعالاً أو تظاهراً.

الجريمة والعقاب

وبعد انتهاء العملية اعتقد عبدالناصر أن وراءها عبدالقادر عودة الذى كشف عن مشاعره الحقيقية تجاهه، حين قاد مظاهرة ضده بعد يومين فقط من إفراج عبدالناصر عن المعتقلين من الإخوان بناء على طلب عبدالقادر عودة نفسه، فقد دخل فى روع عبدالناصر أن «عودة» كان يقترب منه فقط بهدف الإفراج عن الإخوان، ليكسب بذلك نقطة فى صراعه مع الهضيبى حول زعامة الإخوان بينما هو فى حقيقة الأمر لا يضمر له غير الشر والحقد.

أما الآخر، الذى انصرف ذهن عبدالناصر إليه شريكا فاعلاً فى عملية اغتياله فهو الشيخ محمد فرغلى، الذى اعتقد عبدالناصر أنه وافقه على وثيقة الهدنة، لمجرد أن يصرفه فقط عما يدبره له فى الخفاء.

ويقول الشيخ الباقورى فى مذكراته: إنه بعد أن أصدرت محكمة الثورة أحكامها بإعدام الإخوان المتهمين بقتل عبدالناصر، وجىء بالأحكام للتصديق عليها من المجلس المشترك بين مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء وهو المخول بالتصديق على الأحكام، قال جمال عبدالناصر إن الأحكام التى صدرت قد أحدثت أثرها، لمجرد

صدورها ولا أرى أى داع لتنفيذها إلا على محمود عبداللطيف فقط والعفو عن الجميع ما عدا الفاعل الحقيقى.. وهو محمود عبداللطيف.

ويقول الباقورى، وقد كان حاضراً الاجتماع، بصفته وزيراً للأوقاف، إن جمال سالم ما إن سمع عبدالناصر يقول ذلك، حتى تظاهر بالخروج إلى دورة المياه ثم عاد ليقف خلف جمال عبدالناصر واضعاً المسدس فى رأسه قائلا له «إنت بتعمل محكمة أحكم فيها أنا بالإعدام عليهم ثم تصدر أنت عفواً عنهم، فتكون أنت ملاك الرحمة فى نظرهم وأكون أنا الشيطان الذى يستحق القتل؟!».

ومضى جمال سالم فى تهديده لجمال عبدالناصر: «إما أنك توقع على تنفيذ الحكم فوراً والآن، وإما أن أقتلك فوراً والآن!!»

تنفيذ الإعدام

كان جمال سالم قد اتفق مع أحمد أنور، قائد السجن الحربى، الذى أودع فيه المتهمون على أنه بمجرد سماع إذاعة خبر التصديق على الأحكام من الإذاعة ينفذ فى المتهمين حكم الإعدام فوراً، كما اتفق مع أخيه صلاح سالم على إذاعة الخبر من الإذاعة فوراً.. وبقى الاجتماع منعقداً تحت تهديد جمال سالم حتى أذيع الخبر من الإذاعة وتم تنفيذ حكم الإعدام فى المتهمين، رغم أنف جمال عبدالناصر وضد رغبته.

وقد تبين من التحقيقات التى أجرتها النيابة أن الهضيبى لم يكن له أى دخل فى عملية الاغتيال، ولكن رأت المحكمة أن عدم علمه لا يخلى مسؤوليته عما حدث، فهو المسؤول الأول عن تنظيم حاول بعض أفراده اغتيال رئيس الجمهورية، فتم تخفيف حكم الإعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة نظراً لكبر السن، كما قالت المحكمة فى حيثياتها، وكان الهضيبى فى ذلك الوقت قد وصل السبعين عاماً.

أما قول الإخوان بأن المسدس- أداة الجريمة- قد ضاع وأن وجوده ضرورى لتحقيق الجريمة، فهو حجة واهية، نظراً لأن الرصاصات قد أطلقت فعلاً وسمعها الجميع، ولابد أنها أطلقت من مسدس. فالمهم هنا هو إطلاق الرصاص وليس المسدس الذى أطلقت به، لأن العملية ليست مجرد شروع فى قتل بمسدس ضبط أو لم يضبط. المهم أن عبدالناصر لم يعتقل أحداً من الجهاز السرى الخاص القديم الذى كان قد تشكل فى عهد حسن البنا، والذى كان برئاسة عبدالرحمن السندى، لأن عبدالناصر كان يعلم أن قاعدة ذلك الجهاز سليمة وذلك بحكم معرفته القديمة التى استقاها من انتمائه له فترة طويلة واطلاعه على الكثير من أموره السرية والغامضة، وكانت كل الاعتقالات التى تمت بعد حادث المنشية من أعضاء الجهاز السرى الجديد برئاسة يوسف طلعت الذى كان يدين بالولاء للمستشار حسن الهضيبى شخصياً.

أعود إلى تأكيد أن عبدالناصر كان إخوانياً خالصاً مخلصاً، ولكن كونه إخوانياً ملتزماً لا ينفى أنه كان كإنسان يحرص على أن يوجد مركز قوة آمناً.

والمهم هنا أنه فى أعقاب حادث المنشية، وكنتيجة مباشرة له، ظفر عبدالناصر بالساحة المصرية منفرداً، ثم تلاحقت الأحداث تدعمه وتعزز مركزه زعيماً وطنياً وعربياً وإسلامياً من طراز خاص، وجاء تأميمه لقناة السويس وأحداث العدوان الثلاثى وخروجه منتصراً سياسياً، لتساعد على ترسيخ مكانة عبدالناصر محلياً وعربياً وإسلامياً، حتى جاءت الوحدة مع سوريا.

ولعل ما حدث فى أول زيارة له لسوريا يكفى لأى مؤرخ دقيق أن يقول: هاهو الإخوانى القديم، بمجرد أن غادر الساحة المصرية التى عانى فيها من التناقض الإخوانى وجاء إلى ساحة جديدة برزت فيها إخوانيته فى التعامل مع ظروف الحركة

فى سوريا بالدليل، وبمجرد أن وصل عبدالناصر إلى سوريا، كان الموقف أمامه يتلخص فى أن الذين طالبوا بالوحدة وعملوا لها هم ضباط الجيش السورى وعلى رأسهم رئيس أركان الجيش عفيف البزرى وأكرم الحورانى وصلاح البيطار، وهم يمثلون مختلف القوى السياسية على الساحة السورية، ما عدا قوة واحدة لم تأت إلى القاهرة، ولم تطالب بالوحدة مع عبدالناصر، لأنها كانت تشعر أنها قوة نقيضة، وهى قوة الإخوان المسلمين، وعلى رأسها مصطفى السباعى، المرشد العام فى سوريا.

وكان مصطفى السباعى قد أقام سوريا وأقعدها ضد عبدالناصر فى أعقاب حركة الإعدامات التى قام بها فى صفوف الإخوان المسلمين بمصر بعد حادث المنشية الشهير، وكان السباعى وقتها عضواً بمجلس النواب السورى، واستطاع أن يهيج المجلس كله ضد عبدالناصر فى ذلك الوقت، فكان طبيعياً ألا يطالب بالوحدة مع مصر تحت زعامة عبدالناصر.

كما كان طبيعياً أيضاً أنه حينما يذهب عبدالناصر إلى سوريا حاكماً أن يكون الخائف الوحيد منه هو مصطفى السباعى، ومعه بقية جماعة الإخوان السوريين، وهذا ما جرى، بمجرد وصول عبدالناصر إلى دمشق، اجتمع الإخوان السوريون وقرروا الهرب وإخلاء الساحة السورية لعبدالناصر كما خلت له الساحة المصرية، حتى لا يعرضوا أنفسهم للتنكيل على يديه.. فقد كان هذا هو المصير الوحيد الذى تخيلوه لأنفسهم فى العهد القريب.

المفاجأة.. ولكن

وبينما السباعى فى بيته يعد العدة للهرب إلى بيروت، فوجئ فى اليوم التالى لوصول عبدالناصر إلى دمشق بوصول عبدالحميد السراج، رئيس المكتب الثانى

بالمخابرات السورية، على رأس قوة عسكرية من عدة سيارات تحاصر بيته، فأيقن السباعى أن أجله قد حان وبأسرع مما كان يتوقع.

صعد السراج إلى بيت السباعى وحينما قابله فوجئ به قائلاً: السيد السباعى.. رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبدالناصر يستأذنك فى الزيارة ببيتك العامر!

جلس عبدالناصر فى مواجهة الشيخ مصطفى السباعى ليقول له: يا شيخ مصطفى قبل أن أسمع رأيك فى مسألة الوحدة وموقفك منها، أريدك أن تسمع منى قصتى مع الإخوان منذ عام ١٩٤٢، وحتى الآن، وأنا أقبل حكمك بينى وبينهم، فإذا رأيتنى مخطئاً فمعنى ذلك أننا مختلفون وأعطيك الفرصة لتذهب إلى أى مكان آمن ولا شأن لى بك.. أما إذا أعطيتنى الحق فأنا أطالبك بالوقوف معى دون تردد.

أخذ عبدالناصر يقص على السباعى وقائع العلاقة بينه وبين الإخوان ثم ظروف وملابسات الخلاف مع حسن الهضيبى، وصولاً إلى حادث المنشية وما جرى بعده، وحينما انتهى من قصته قال له السباعى، إن الوحدة العربية عندى هى عودة الروح للإسلام، فهى وحدها- إذا خلصت النوايا- عين الإسلام، وحتى أعلن هذا على الملأ لأؤكد لك أننى ملتزم بما أعلن، ألتمس منك وقد تفضلت بزيارتى أن أخرج معك الآن لنزور قبر صلاح الدين، لتقول على القبر نقيض ما قاله «غورو» القائد الفرنسى حين دخل دمشق مع قواته «ها قد عدنا يا صلاح الدين»!

ذهب عبدالناصر فعلا وفى صحبته مصطفى السباعى، المرشد العام للإخوان المسلمين فى سوريا، إلى قبر صلاح الدين، وهناك ألقى خطابه الشهير الذى قال فيه: «لقد قامت فى الشرق دولة لا شرقية ولا غربية تحمى ولا تهدد تصون ولا تبدد تشد أزر الصديق.. وترد كيد العدو»! وقد استغضب عبدالناصر بقوله هذا كلاً من البعثيين والشيوعيين.. بينما شعر كل إخوانى مخلص أنه هو الذى كان يتحدث.

ربما يقول البعض إن عبدالناصر قد فعل ذلك ليستقطب الإخوان المسلمين، ولكن الدليل على أنه كان جاداً ويعنى ما يقول أن الشيوعيين والبعثيين اعتبروا كلمة عبدالناصر رسالة موجهة لهم، فقرروا مغادرة سوريا، مخلين الساحة لعبدالناصر وجماعة الإخوان المسلمين وحدهم!

وجاء السباعى إلى مصر ليتصل برموز الإخوان فيها، مؤكداً لهم أنه إذا ضاع عبدالناصر فلن تعوضه الحركة الإسلامية، وأن خلافهم مع عبدالناصر لا مبرر له خاصة أن كل ما يقوم به يصب فى إطار الشريعة الإسلامية ولا يخرج عنها، وأنه من غير المقبول ولا المعقول أيضاً، أن يكون الإخوان المسلمون مع الصهاينة والغرب والشيوعيين فى صف واحد ضد عبدالناصر، وضد الوحدة.. بحجة أن القومية العربية نقيض للإسلام، أو أن الوحدة العربية نقيض للوحدة الإسلامية.

وأخذ السباعى يشرح للإخوان المصريين حقيقة رأيه المؤيد والمناصر لجمال عبدالناصر ويطالبهم باتخاذ نفس الموقف الذى يمليه عليه ضميره الإسلامى وحرصه على النهوض والتقدم.

من ناحيته، ظل عبدالناصر حريصاً على تقريب مصطفى السباعى منه، بعد أن وجد فيه العوض عن الإخوان المصريين، وحينما فكر عبدالناصر فى إجراء حركة التأميمات بسوريا، ذهب إلى السباعى ليستطلع رأيه، ويستفتيه، فأفتاه السباعى، بأن الاشتراكية هى عين الإسلام، وأنه لا تناقض بينهما، فالإسلام قام على العدل الاجتماعى الذى هو القاعدة فى كل من الاشتراكية والإسلام، وقد وضع السباعى كتابه الشهير «الاشتراكية فى الإسلام» ليؤكد به رأيه المؤيد لعبدالناصر فى قرارات التأميم، التى جرت فى كل من مصر وسوريا.

فى الوقت الذى كان فيه الإخوان فى مصر يهاجمون القرارات الاشتراكية

ويصفون اشتراكية عبدالناصر بالكفر والإلحاد والخروج على الإسلام، كما هاجموا فى السابق قوانين الإصلاح الزراعى، حين اعتبرها الهضيبى عدواناً على أموال الناس وأكلها بالباطل، وكانوا بهذه المعارضة يؤكدون انحيازهم الكامل لطبقة الإقطاعيين، «كان الإخوان المسلمون فى سوريا مع جمال عبدالناصر فى كل ما اتخذه من خطوات اشتراكية إسلامية».

obeikandl.com

obeikandl.com

عبدالناصر يختار سيد قطب نائباً له فى أول تنظيم للثورة!!

6

انقلاب قطب على الثورة وانضمامه للإخوان

لم تكد حلقة من حلقات الصراع بين عبدالناصر والإخوان تنتهى، حتى يبدأوا معه حلقة أخرى، ولكنها كانت من بين جميع الحلقات، الأكثر ضراوة ودموية.. فما كان لعبدالناصر أن ينتهى من صراعه مع حسن الهضيبى، حتى ظهر له سيد قطب.

وقد جاء ظهور سيد قطب فى صفوف الإخوان- بل وعلى رأسهم- فى إطار سياسة «الخطف» التى اتبعها الجانبان كل منهما ضد الآخر، فبعد أن نجح عبدالناصر فى «اختطاف» عدد من الإخوان إلى صفه، مثل الشيخ الباقورى وعبدالعزيز كامل وأحمد حسنى وغيرهم، نجح الإخوان بدورهم فى اختطاف سيد قطب من صفوف عبدالناصر ليكون مفكرهم بعد أن كان مفكر الثورة ومنظرها الأول.

obeikandl.com

ويروى الدمرداش العقالى تفاصيل تلك الحلقة، التى جاءت تحت عنوان «سيد قطب من الثورة إلى الثورة المضادة».. متتبعاً بداياتها الأولى التى هى نفسها بدايات سيد قطب مع الثورة.

كان سيد قطب أديباً مشهوراً قبل أن يعرفه الناس «قطباً» من أقطاب الإخوان المسلمين، وهو كأديب كان يتصف بالنرجسية الشديدة واعتداده بنفسه، وقد أوقعه ذلك فى تناقض مبكر مع المرحوم الشيخ حسن البنا، الذى رأى فى سيد قطب أنه يتشابه معه فى صفات كثيرة أولها أن كليهما كان «درعمياً» أى خريج كلية دار العلوم، ولكن الشيخ حسن البنا كان ينفرد عن أبناء جيله فى أنه بدأ يبنى صرحه الذى يقوم على صناعة الأفكار وصناعة الرجال. أما سيد قطب فقد كان من فريق «الوراقين»، أى أنه كان يعيش فى عالم بناه من الورق قراءة وكتابة، وربما كان اعتداده بنفسه هو الذى جعله يتحاشى التعامل مع الناس ومع الواقع، فلما رأى زميله «الدرعمى» يملأ السمع والبصر، صيتاً وشهرة، كان يمقت عليه ذلك ويحسده، ولا أقول من قبيل التحليل، بل أنا شاهد عليه وكنت أول راصديه.

فقد كان سيد قطب خال زوجتى وهو من قرية موشى التابعة لأحد مراكز محافظة أسيوط. وكان أحمد محمد موسى ابن شقيقته، وشقيق زوجتى من أتباع حسن البنا وأحد المنخرطين فى صفوف الإخوان المسلمين، وكان سيد قطب إذا جاء إلى قريته والتقى مع ابن شقيقته الإخوانى ومعه عدد كبير من رفاقه أتباع حسن البنا، كان يكثر من سباب حسن البنا أمامهم، وفى بعض المرات سمعته يسأل ابن أخته هذا: «ماذا فعل بك حسن الصباح وجماعة الحشاشين»؟!

كان سيد قطب كثيراً ما يعقد مقارنات بين جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة «الحشاشين» الشهيرة الذين كان يتزعمهم «حسن الصباح»، والذى كان سيد قطب

يرى- فى ذلك الوقت من أواسط الأربعينيات- شبهاً كبيراً بينه وبين حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين، فكان ابن أخته حين يسمع خاله سيد قطب يقول ذلك عن جماعته وزعيمها، يدخل فى شجار عنيف معه، لم يكن ينتهى إلا بتدخلنا لإنهائه.

قطب الاشتراكية

وقد ظل سيد قطب على عدائه الشديد لجماعة الإخوان المسلمين وزعيمهم حسن البنا، حتى سافر إلى أمريكا مبعوثاً من وزارة المعارف، وكان على رأسها فى ذلك الوقت طه حسين، وحين عاد من هناك عين مستشاراً لوزارة المعارف، ولكنه كان قد تحول خلال الفترة التى أمضاها فى أمريكا فأصبح شديد العداء للرأسمالية والمجتمع الرأسمالى، شديد التأييد للاشتراكية والعدالة الاجتماعية.

عاد سيد قطب من أمريكا لا ليكتب فى الأدب والنقد كما كان يفعل قبل أن يسافر إليها، بل عاد ليكتب فى الاشتراكية مطعماً كتاباته فيها باجتهادات إسلامية. فكتب كتابه الذى جاء بعنوان «العدالة الاجتماعية فى الإسلام» ثم كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية»، وهو من أخطر ما كتب سيد قطب على الإطلاق، فهو يعقد فى هذا الكتاب حلفاً بين الإسلام والشيوعية، مستبعداً أى تلاق بين الإسلام والرأسمالية، ويقول إن الشيوعية اجتهاد للبحث عن العدل أقحمت نفسها فى الكلام عن الدين بغير مبرر، وعادت الدين بغير مقتضى، ولكنها وصلت إلى العدل الاقتصادى والاجتماعى الذى هو أحد، وأهم أهداف الدين، وأضاف سيد قطب مفسراً أن الشيوعية لو تخلت عن فكرة الإلحاد التى هى ليست من ضرورات المذهب ولا يتطلبها الفكر الاقتصادى، لالتقت مع الإسلام فى العدالة الاجتماعية.

أما الرأسمالية- فى رأى سيد قطب- فإن القرآن فى معظم آياته يطارد الكنز والتراكم ويدعو إلى تداول الأموال بين الأجيال ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ .

حين بدأ سيد قطب فى تطعيم الاشتراكية بالإسلام، كان حسن البنا قد انتقل إلى جوار ربه، فى أوائل الخمسينيات، وبدأ حسن الهضيبى الذى أصبح على رأس الإخوان والذى كان ينكره الإخوان القدامى يبحث عن أنصار له مما جعله يضنى نفسه بحثاً عن إخوان جدد يدينون له بالولاء زعيماً وأباً للجماعة، وقد رأى الهضيبى أن الأعضاء الذين ينضمون للجماعة حديثاً ليس لهم فضل السبق الذى يتميز به الإخوان القدامى على الهضيبى نفسه، فيحول بينه وبين ولائهم له، ولهذا راح الهضيبى يبحث له عن أعضاء جدد يتميز هو عليهم. وقد وجد حسن الهضيبى ضالته المنشودة فى سيد قطب خاصة أن الكثيرين من شباب الإخوان قد استهوتهم دعوته للاشتراكية الإسلامية. ولكن سيد قطب الذى اقترب كثيراً من الإخوان بعد تحوله الغريب والمفاجئ، كان فى اقترابه اشتراكياً، فقد رفض أن يكتب فى مجلة «الدعوة» لسان حال الإخوان المسلمين مفضلاً الكتابة فى مجلة «الاشتراكية».

قطب الثورة وقطب الإخوان:

ولما قامت الثورة، وجد سيد قطب نفسه قريباً من جمال عبدالناصر الذى اختاره نائباً له فى «هيئة التحرير» وهى أول تنظيم سياسى تقيمه الثورة بعد أن أصدرت قرارها بحل جميع الأحزاب السياسية.

شكل جمال عبدالناصر هيئة التحرير لتكون بديلاً عن الأحزاب السياسية المنحلة واختير سكرتيراً عاماً لها واختار سيد قطب سكرتيراً عاماً مساعداً. والذى يعود إلى جريدة «الجمهورية» وهى أول جريدة تنشئها ثورة يوليو لتكون لسان حالها، وكان الترخيص بإصدارها باسم جمال عبدالناصر شخصياً، سيجد أن مقالات سيد قطب بها هى المقالات الرئيسية التى تتصدر صفحاتها الأولى، وقد عبر فيها سيد قطب عن ضرورة الثورة والقرارات الثورية التى اتخذتها علاجاً للأوضاع السيئة فى مصر.

وأكثر من ذلك كان سيد قطب هو رسول جمال عبدالناصر إلى التجمعات الطلابية فى المدن الجامعية فى البدايات الأولى للثورة، حين تظاهر طلاب الجامعات مطالبين بالديمقراطية، فذهب إليهم سيد قطب موفداً من عبدالناصر ليشرح لهم الأوضاع السياسية. وكان سيد قطب فى معرض حديثه عن تلك الأوضاع يرى أنه لا مخرج لمصر مما تعانى منه من مشكلات مزمنة ومتضخمة إلا بإطلاق يد الثورة لترتيب البيت الذى تسلمته منهاراً.

وكان سيد قطب يدافع عن موقف جمال عبالناصر مهاجماً الهضيبى وجماعة الإخوان المسلمين. وقد وصل سيد قطب فى هجومه عليه وعليها إلى درجة التأثيم والتجريم، فكان يرى أن أهداف الأمة المتفق عليها لا تتحمل الديمقراطية لأنها أهداف استحكمت فى ضمير الأمة وعقلها الجمعى الباطن. ولذلك فإن تلك الأهداف لا تحتاج إلى ديمقرطية لتحقيقها بل إن تحقيقها هو الذى يفتح الباب أمام الديمقراطية التى ليست شرطاً لتحقيق الجلاء ومحو الأمية والإصلاح الزراعى والتصنيع والتحرير. ولكن الجلاء وخروج الإنجليز والتحرير من الإقطاع والرأسمالية هو الشرط الأساسى لتحقيق الديمقراطية.

هكذا ظل سيد قطب هو مفكر الثورة أو أحد مفكريها وأبواقها فى أوساط الجماهير- طلابية وعمالية وفلاحين- وكان شديد الولاء لجمال عبدالناصر وقوى الإيمان بزعامته. حتى جاء المنعطف الذى حول سيد قطب من مناصر للثورة وزعيمها إلى معاد- شديد العداء- لها.

لماذا تحول؟

كان الإخوان لا يزالون فى محاولاتهم لاستقطاب سيد قطب بما له من كتابات إسلامية تستهوى أعداداً كبيرة من شباب الإخوان، بينما كان سيد قطب نفسه على

ولائه للثورة وجمال عبدالناصر يرى فيها تحقيقاً لآرائه التى ينادى بها.

وبعد إقالة وزارة على ماهر- أول وزارة شكلتها الثورة- تقرر تشكيل وزارة جديدة برئاسة محمد نجيب، ففاتح جمال عبدالناصر صديقه سيد قطب فى أمر تعيينه وزيراً للمعارف فى الوزارة الجديدة، التى تجرى المشاورات لتشكيلها، وجاء سيد قطب إلى أصدقائه وأهله ومعارفه ليتحدث معهم فى هذا الأمر، الذى اعتبره وعداً من جمال عبدالناصر وليس مجرد تشاور.

ولكن قبل إعلان التشكيل النهائى للوزارة الجديدة، جاء جمال عبدالناصر إلى سيد قطب ليعتذر له عن وزارة المعارف التى كان قد «وعده» بها، بحجة أن كمال الدين حسين- عضو مجلس قيادة الثورة- كان مصراً على تولى هذه الوزارة بنفسه، وعرض جمال عبدالناصر على سيد قطب وزارة الأشغال بدلاً من وزارة المعارف، التى كان يرى سيد قطب أنه أحق بها من الجميع.

الثمن الغالى:

ولما كان سيد قطب شديد الاعتداد بنفسه، كان يتعامل مع جمال عبدالناصر على أنه «العقل» وعبدالناصر «الجسد» فلا يقبل من الجسد أن يوجه العقل، بل يجب على العقل أن يوجه الجسد! غضب سيد قطب غضباً شديداً واعتبر عبدالناصر مسؤولاً عن ضياع حلمه فى وزارة المعارف التى كان ينتظر تعيينه بها مكافأة له على تأييده للثورة والدعاية لها.. وكتب لأحد أصدقائه وهو حسين عبدالفتاح الترامسى ناظر مدرسة «موشى» الإعدادية بأسيوط يقول له «إن العسكر استكثروا على سيد قطب وزارة المعارف.. والله سأجعلهم يدفعون ثمن استهانتهم بى غالياً».

انزوى سيد قطب بعد ذلك، ولم يعد إلى نشاطه السابق فى هيئة التحرير، بل أخذ يقترب من الإخوان الذين لم يكفوا عن مغازلته حتى وهو فى أحضان الثورة بقده

وقديده. وفى نوفمبر عام ١٩٥٣ اقتحمت جماعة شباب الإخوان من أعضاء التنظيم السرى- وكنت واحداً منهم- بيت حسن الهضيبى ليطالبوه بالاستقالة تنفيذاً للاتفاق الذى عقدوه مع زعيمهم عبدالرحمن السندى على إقالة الهضيبى. وأما وقد فشل هؤلاء الشباب فى الحصول من الهضيبى على الاستقالة، فقد اتهم الهضيبى عدداً من قيادات الإخوان بتدبير هذه «المؤامرة» عليه، وكان صالح عشماوى، رئيس تحرير جريدة الدعوة، لسان حال الإخوان المسلمين، واحداً ممن أدانهم الهضيبى بمسؤولية التآمر عليه. فقرر الهضيبى فصل صالح عشماوى ومحمد الغزالى من جريدة الدعوة، بل ومن جماعة الإخوان كلها.

وحين انفصل صالح عشماوى عن الإخوان- وكان صاحب الرخصة لجريدة الدعوة- قرر عشماوى الانفصال بالجريدة وسخرها للهجوم على الهضيبى. عندئذ فكر الهضيبى فى إصدار جريدة أخرى غير «الدعوة» التى انتقلت إلى خصومه، وكان من شروط الترخيص لإصدار جريدة جديدة- ولا يزال- تحديد اسم رئيس التحرير الذى يصدر الترخيص باسمه.

تقدم الهضيبى بطلب إلى وزير الداخلية- الذى كان فى ذلك الوقت هو جمال عبدالناصر نفسه- ليصرح له باستخراج جريدة جديدة باسم «الإخوان المسلمون» محدداً اسم رئيس التحرير وهو سيد قطب إبراهيم!! حين تقدم السكرتير بطلب الترخيص لجمال عبدالناصر وقعه فوراً، بمجرد أن علم أنه طلب من الإخوان إصدار جريدة جديدة، فاندهش السكرتير من السرعة التى رأى عبدالناصر يوقع بها طلب الترخيص، مما حمله على سؤاله: هل تعلم من هو رئيس التحرير؟ فقال عبدالناصر: أياً كان رئيس التحرير، فقال السكرتير له: إنه سيد قطب!

هنا توقف عبدالناصر الذى لم يكن قد قرأ اسم رئيس التحرير على طلب الترخيص، وطلب من سكرتيره أن يستدعى له سيد قطب ليتأكد منه بنفسه، فربما

يكون الهضيبى قد وضع اسمه على الطلب دون علمه ليورطه، أو يوقع بينه وبين عبدالناصر. وحين جاء سيد قطب، سأله عبدالناصر: هل أنت من الإخوان؟ وكانت هناك واقعة سابقة سأله فيها جمال عبدالناصر نفس السؤال: يا أخ سيد هل أنت من الإخوان؟ فنفى سيد قطب أى علاقة له بالإخوان.

ففى صيف ١٩٥٣، صدر قانون حل الأحزاب السياسية، وكان مجلس قيادة الثورة برئاسة محمد نجيب مصراً بكامل هيئته على أن يشمل قرار حل الأحزاب الإخوان المسلمين باعتبارهم حزباً سياسياً. وكان جمال عبدالناصر هو الوحيد من بينهم جميعاً الذى رفض أن ينطبق قرار الحل على الإخوان. وقال عبدالناصر فى تبريره الذى أبداه أمام المجلس فى ذلك اليوم إن الإخوان المسلمين جماعة دينية تشتغل بالوعظ والإرشاد ولا ينطبق عليها وصف الحزب السياسى. فانقسم مجلس قيادة الثورة إلى قسمين متساويين بين مؤيد للرأى ومعارض له. وهنا تقدم عبدالناصر برأى يحل به مشكلة التعادل فى الانقسام بين أعضاء المجلس.. وقال عبدالناصر إننا عسكريون ولا بد أن نستأنس فى قرارنا برأى أحد المدنيين المتصلين بالشارع السياسى المصرى. فما رأيكم فى سيد قطب، السكرتير المساعد لهيئة التحرير، وقد وافق أعضاء المجلس على حضور سيد قطب اجتماع المجلس ليقول رأيه فى قرار حل الإخوان المسلمين باعتبارهم حزباً سياسياً.

قال سيد إنه ليس مع حل الإخوان المسلمين حرصاً من الثورة على ألا تحارب فى كل الجبهات فى لحظة واحدة، فتخسر الكثيرين من أنصارها ومؤيديها فى وقت هى فى حاجة إليهم لتحارب بهم فى الجبهات الأخرى، ثم- كما قال سيد قطب- إن المبررات التى تكمن وراء قرار حل الأحزاب السياسية لا تتوافر فى الإخوان المسلمين، فالإخوان لم يشاركوا فى السلطة قبل قيام الثورة، ولم يعرفوا بالفساد الذى

Obeikandl.com

عرفت بها أحزاب تلك الفترة، كما أنهم كانوا من أنصار «التغيير» الذى اتخذته الثورة شعاراً لها، مما يستوجب التفريق بين أنصار الثورة ومعارضيها.

وبعد أن أعلن سيد قطب رأيه على هذا النحو فى اجتماع مجلس قيادة الثورة، شكره جمال عبدالناصر ثم سأله: هل أنت من الإخوان المسلمين؟ فنفى سيد قطب أى صلة له بالإخوان بل أكد أنه معارض لهم. وحين قدم حسن الهضيبى طلب الترخيص لإصدار جريدة للإخوان المسلمين برئاسة تحرير سيد قطب، استدعاه جمال عبدالناصر ليكرر عليه نفس السؤال: يا أخ سيد.. هل أنت من الإخوان المسلمين؟

فقال سيد قطب: لم أكن.. فكنت!

تصفية حسابات:

وقد أجاب سيد قطب عن السؤالين القديم والحديث، إجابة واحدة، بمعنى أنه لم يكن فى الإخوان المسلمين حين سأله عبدالناصر هذا السؤال أول مرة فى اجتماع هيئة التحرير، ولكنه الآن قد انضم إليهم. قال له جمال عبدالناصر: أنت حر فى أن تنضم لمن تشاء ولكن أرجو ألا يكون ذلك «تصفية حسابات»!!

بدأ سيد قطب بالعمل رئيساً لتحرير جريدة الإخوان المسلمين بعد أن وافقه جمال عبدالناصر على إصدارها، ومنذ العدد الأول للجريدة بدأ قطب هجومه على الثورة وجمال عبدالناصر، مبتكراً شخصية «قرفان أفندى» الكاريكاتورية ليحملها هجومه الذى أراده على المرحلة الجديدة.

ورغم تلك الشخصية الكاريكاتورية التى تهاجم الثورة وأعمالها، لم تنقطع علاقة عبدالناصر بسيد قطب، وفى إحدى المرات سأله عبدالناصر: إيه يا أخ سيد «القرفانين» بيكتروا قوى فى البلد اليومين دول! «فرد عليه سيد قطب قائلاً: إذا

obeikandi.com

كنتم فاكرين إن مافيش حد «قرفان» منكم تبقوا بتغالطوا أنفسكم!!

وحين تخرجت فى الجامعة عام ١٩٥٤، وكنت أول دفعتى بكلية الحقوق جامعة القاهرة، نشرت جريدة الإخوان الخبر مع تهنئة لى فى صفحتها الأولى، فكان ذلك سبباً فى عدم تعيينى معيداً بالكلية أو بالنيابة. وكان ذلك أول ثمن أدفعه لقربى من سيد قطب فى ذلك الوقت!

القطب السجين

وقد ظلت جريدة الإخوان المسلمين فى هجومها على عبدالناصر والثورة ولم يتعرض لها أحد بالمنع أو المصادرة حتى وقع حادث المنشية، فقبض على سيد قطب مع من قبض عليهم من قيادات الإخوان فى ذلك الوقت وقدم إلى المحاكمة، وتم الحكم عليه لمدة خمسة عشر عاماً بتهمة الاشتراك فى تنظيم يستهدف قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة.

دخل سيد قطب السجن، وكانت هناك تعليمات من جمال عبدالناصر شخصياً بمعاملته معاملة حسنة، حتى إنه تمكن من مواصلة قراءاته وكتاباته فكتب معظم مؤلفاته خلال الفترة التى أمضاها فى السجن، وسمح له بطبع كتبه وتداولها، فخرج «فى ظلال القرآن» فى أكثر من طبعة جديدة.

وفى أعقاب إصدار «الميثاق» دارت المناقشات حوله فى أوساط المثقفين المصريين، وكان الرأى الغالب على تلك المناقشات والتفسيرات يتجه نحو الماركسية واليسار، فكثرت الكتابات عن الميثاق كما لو كان اجتهاداً من الشيوعية، وكان ذلك على خلاف ما كان يراه فيه عبدالناصر، وحين فكر عبدالناصر فى الخروج من هذا المأزق الذى وجد الماركسيين يحفرونه له، لم يجد أمامه غير سيد قطب، فهو المفكر الوحيد القادر على أن يفهم الميثاق فهماً إسلامياً يتفق مع فهم عبدالناصر له.

قرر عبدالناصر الإفراج عن سيد قطب وفور خروجه من السجن استقبله فى بيته، وقال له: إن الجماعة الماركسيين افتكروا أن الميثاق فتح لهم الطريق «لمركسة» الثورة، وأنت أعلم بأن الثورة ليست ماركسية ولن تكون، وأنا أريدك أن تكتب عن الإسلام، فى مواجهة الماركسية لإيقاف هذا المد الماركسى عند حده. وهنا سأله سيد قطب: وهل سيتركنى زبانيتك لأكتب ما أراه؟ فقال له عبدالناصر: اكتب ولا شأن لك بهم ولا شأن لهم بك.وفعلاً خرج سيد قطب من مقابلته لعبدالناصر ليكتب أخطر كتبه على الإطلاق: «معالم فى الطريق» الذى يكاد يكون الأساس فى الفكر المتطرف الذى تشهده الساحة الآن. أو «مانيفستو» الإرهاب!

وقد جاءت كتابات سيد قطب فى هذه الفترة لتدعو إلى المفاصلة مع المجتمع وتكفيره.. وطبع كتاب «معالم فى الطريق» أكثر من طبعة جديدة، كانت تنفد كل منها بعد ساعات من إصدارها، وكتب سيف اليزن خليفة رئيس المباحث العامة فى تلك الفترة تقريراً عن الكتاب يصفه فيه بالخطورة على المجتمع. ورفع التقرير إلى جمال عبدالناصر والذى يطلب فيه من رجال المباحث منع الكتاب من الطبع والتداول لخطورته، ولكن عبدالناصر رفض منع الكتاب أو التعرض له، لأنه كان قد قطع عهداً لسيد قطب ألا يسمح لأحد بالتعرض لكتاباته وأن يتركه حراً يكتب ما يشاء.

ورغم الكتب الكثيرة التى وضعها سيد قطب قبل الثورة وبعدها، إلا أنه لم يغنم من ورائها مادياً ما غنمه من كتاب «معالم فى الطريق» الذى ألفه بعد خروجه من السجن، فغير مسكنه من شقة متواضعة إلى فيلا فاخرة فى حلوان. واعتبر ذلك مؤشراً صحيحاً على اندماجه فى المجتمع، وانسجامه مع الأوضاع فيه.. حتى كانت أحداث ١٩٦٥ الدامية.

obeikandl.com

تطوير الأزهر أعظم قرارات ناصر الإسلامية

7

obeikandl.com

كان على جمال عبد الناصر أن يدفع دائمًا فاتورة ولائه القديم للإخوان المسلمين ، وكان الإخوان المسلمون أنفسهم ولا أحد غيرهم ـ هم أكثر الناس استغلالًا لضعف عبد الناصر أمام كل ما يمت إلى الإسلام بصلة .

فراحوا يطالبونه بدفع «الفواتير» أولًا بأول حتى إذا لم يجد معه ما يدفعه لهم ، كان الشجار والتشاحن ثم الصدام والاقتتال !

فبعد إصداره «الميثاق» راح الماركسيون يقدمون له الشروح والتفسيرات التي تناسب هواهم وميولهم ، فخاف عبد الناصر من اتهام الإخوان له «بالتمركس» وهو اتهام ـ لو صح ـ يضعه في خانة الكفار والمرتدين ، ولم يجد أمامه من ينقذه من

هذا المأزق الذي وجد نفسه فيه، غير صديقه القديم سيد قطب، فأفرج عنه واستقبله في بيته ليصارحه بحقيقة الأزمة، وطلب منه أن يكتب عن الإسلام والتفسير الإسلامي للميثاق، واضعًا حدًا لهذا المد الماركسي الذي وجد الساحة أمامه خالية فاستشرى.

ولكن سيد قطب الذي كان نرجسيًا معتدًا بنفسه، رأى أن يكتب «ميثاقه» هو بدلًا من أن يتحدث عن ميثاق عبد الناصر، وعن إسلامه هو بدلًا من إسلام الثورة وميثاقها، فوضع «معالم في الطريق» الذي أصبح ميثاق الإرهاب والتطرف بدلًا من ميثاق عبد الناصر الذي كان «معالم على الطريق» عنوان أحد فصوله.

وهكذا لم يشأ سيد قطب أن يضع نفسه في مواجهة عبد الناصر، بل وضع نفسه في مواجهة المجتمع كله، بعد أن رأى هذا المجتمع بكله وكليله مع عبد الناصر، فلم يجد أمامه من وسيلة ينتقم بها من هذا المجتمع الذي رآه يسير وراء عبد الناصر غير اتهامه بالجاهلية ورميه بالكفر، داعيًا أتباعه إلى تجنب هذا المجتمع ومخاصمته والهجرة منه، هجرة عقلية وروحية وجسدية، والخروج عليه ومقاتلته قتال المسلمين لمجتمع كافر جاهلي!

كل ذلك كتبه «سيد قطب» في عهد عبد الناصر الذي راح يغمض عينيه ويصم أذنيه، ويكف يديه عن تلك الكتابات التحريضية خوفًا من اتهامه بالديكتاتورية والإرهاب والشيوعية!

الإرهاب والديمقراطية:

وفي نهاية الأمر أفرزت كتابات سيد قطب ودعوته تنظيمًا إرهابيًا أخذ يخطط لنسف وتدمير المجتمع المصري، فوجد عبد الناصر نفسه مطالبًا بالتدخل حاسمًا، بعد أن أيقن أن الخوف من اتهامه بالإرهاب والتظاهر بالديمقراطية، قد جعل

خصومه أكثر إرهابًا لتقويض المجتمع الذي نذر نفسه لتغييره إلى الأفضل .

ويروى المستشار الدمرداش العقالي لنا تفاصيل ما حدث بين عبد الناصر وخصومه ، بزعامة سيد قطب ، فيقول :

بعد أن أفرج عبد الناصر عن سيد قطب ، بدأ التحرك والكتابة والقول بحرية يضمنها له عبد الناصر شخصيًا ، فبدأ في التجول بقرى مصر ومدنها ليقابل كل من يعرفه ومن لا يعرفه من أعضاء الإخوان المسلمين القدامى ، وجاء إلى أسيوط وقابلته هناك في شتاء ١٩٦٤ ، ليتحدث مع الناس حول ضرورة إعادة تجميع الإخوان المسلمين ، فسألته عن الهدف من وراء ذلك ، خاصة أنك كما قلت له تنعم بحرية لم تنعم بها في أي عهد سابق ، فتكتب ما تشاء ، وتنشر كما تشاء ، وتتحدث وتتصل مع من تريد فيما تريد ، فلماذا إعادة تجميع الإخوان ؟ ومن الذي يضمن لك مثل هذا القدر من الحرية الذي تنعم به الآن أنت وجميع الإخوان ؟

الاعتقال :

وأذكر أنني اشتبكت معه في معركة كلامية وقف فيها معي كثير من الذين كانوا يحضرون اللقاء ، وأنهى سيد قطب معركته معي قائلًا : خير لي أن أسمعك تعارضني الآن ، من أن توافقني مسايرًا ثم تتراجع في منتصف الطريق .

اعتزلت سيد قطب وجماعته بعد رفضي الانضمام إليهم عند مفاتحتي في الأمر ، حتى فوجئت بالإعلان عن تنظيم مسلح يتزعمه سيد قطب عام ١٩٦٥ ، لقلب نظام الحكم ، وقد تم اعتقالي مع من اعتقل من أعضاء الإخوان القدامى ، وبقيت أسبوعًا في الحبس رهن الاستجواب والتحقيق وبعد الإفراج عنى بعدما ثبتت لجهات التحقيق براءتي ، توافرت لي معلومات دقيقة عن التنظيم الجديد الذي نجح سيد قطب في تشكيله بعد الإفراج عنه ، وتركه ليعمل بحرية في ظل حماية

عبد الناصر شخصيًا .

وقد ازداد تأكدي من ذلك بعد عملي خارج مصر في بداية السبعينيات بما توافر لي من معلومات ومصادر حول وجود تنظيم سيد قطب المسلح .

في يوليو ١٩٦٥ وقبل اكتشاف تنظيم سيد قطب حاول عبد الناصر الخروج بقواته من اليمن ، وعقد لهذا الغرض اجتماعًا مع الإمام البدر ولكنهما لم يتفقا على شيء ، وبعد عودته إلى مصر استدعى فورًا وزير الداخلية عبد العظيم فهمي ليسأله عما إذا كانت قد توافرت لدى وزارته أية معلومات أو إشارات عن تحركات غير عادية يقوم بها الإخوان المسلمون ، فأنكر عبد العظيم فهمي وجود أي شيء غير عادي في رصده لحركة الإخوان على الساحة .

وبينما كان عبد الناصر في زيارة لموسكو وصلته معلومات من رئيس جهاز المخابرات بأن الإخوان المسلمين بدأوا في التحرك والخروج من أوكارهم في وثبة جديدة على الثورة.

الصدام مع الإخوان :

وهكذا اكتشف عبد الناصر أن المواجهة مع الإخوان باتت مسألة حقيقية .

طلب عبد الناصر من شمس بدران ــ وكان معه في موسكو ــ أن يتصل بمخابرات الجيش ويأمرها بالبحث عن حقيقة الأمر ، فقد فشلت المباحث العامة ومباحث أمن الدولة في الوصول إلى «أي شيء غير عادي» في حركة الإخوان على الساحة في الأيام الأخيرة ، كما قال له وزير الداخلية قبل سفره إلى موسكو .

ولم تكد تمر ساعات على ذلك حتى تمكنت المخابرات الحربية فعلًا من اكتشاف معسكر للتدريب بمنطقة رأس البر ، وعدد كبير من الخلايا في تنظيم إخواني مسلح

بزعامة سيد قطب ، كان يخطط لنسف عدد من الجسور والكباري والمنشآت في مصر ، وتولت أجهزة المخابرات الحربية أمر القبض والتحقيق في هذا التنظيم ، وقد أعلن عبد الناصر ـ وكان لا يزال في موسكو ـ قرار حل الإخوان المسلمين ، و«إعادة اعتقال من سبق اعتقاله» من الإخوان المسلمين ، وكان ذلك في نادى الطلبة المصريين الدارسين بموسكو ، وبعد انتهاء الاجتماع تقدم منه طالب مصري وقال له : سيدي الرئيس لقد أمرت باعتقال كل من سبق اعتقاله من الإخوان ، وأنا واحد ممن شملهم قرار الاعتقال عام ١٩٥٤ ، ولكني انفصلت عن الإخوان وأتيت مبعوثًا إلى موسكو للحصول على الدكتوراه ، وقد حصلت عليها فعلًا وسأعود بعد يومين إلى مصر ، لأعتقل من جديد فماذا أفعل ؟

فقال له عبد الناصر : اذهب إلى يوغسلافيا ، وسأتصل بالرئيس تيتو لعمل بعض الترتيبات بشأنك هناك ، حتى تهدأ الأوضاع وتعود إلى مصر آمنًا .

قطب يرفض العفو :

وقد عاد هذا الدكتور إلى مصر ليشغل نصبًا كبيرًا في الحكومة المصرية !! وهذا يدل على أن عبد الناصر لم يكن يجد في يده شيئًا ما يفعله إلا وفعله لينأى بنفسه عن الظلم ، حين كان يعلم به ، وحتى سيد قطب نفسه ـ رغم كل ما فعله ـ إلا أن عبد الناصر حاول جاهدًا من جانبه أن يخفف الحكم بإعدامه وأن يفرج عنه ، والغريب أن حرص عبد الناصر على حياة سيد قطب هو الذي حدا بقطب يركب رأسه أكثر ويزيد تعنته إزاء موقف عبد الناصر سالم .

والذي حدث أن عبد الناصر أرسل إلى سيد قطب من يخبره في السجن بأن عبد السلام عارف قد توسط له لدى عبد الناصر ، بشرط أن يخرج من السجن ليسافر إلى بغداد .

ذهب هذا الرسول من قبل عبد الناصر إلى سيد قطب ، بعد الاتفاق معه على ألا يسمح لسيد قطب بأن يفهم أنه موفد إليه بأمر عبد الناصر حتى لا يركب رأسه ، وكان عبد الناصر يفهم جيدًا نفسية سيد قطب وتركيبته النرجسية ، ورغم ذلك ، رفض قطب أن يلتمس العفو من عبد الناصر كتابة ، بعد أن علم أن «عارف» يتوسط له ، وقد فهم قطب من تلك الوساطة أنه مشمول بحماية عبد السلام عارف ، ولابد أن عبد الناصر لا يستطيع أن ينفذ فيه حكم الإعدام حرصًا منه على العلاقة الوطيدة التي تربطه بعارف .

وكان تقدير سيد قطب للأمر في ذلك الوقت أن كتابة الالتماس إلى عبد الناصر سوف تنزل من قدره ، وتحط من شأنه في نظر أتباعه ومريديه ، وبذلك سوف يخسر كثيرًا إذا ما أقدم على كتابة الالتماس بالعفو عنه لعبد الناصر ، بينما لن يخسر شيئًا إن لم يكتبه ، لأنه بتدخل عبد السلام عارف قد ضمن البقاء على حياته ، فليحيا إذن حرًا كريمًا دون كبوة الالتماس لعبد الناصر التى تحط من كرامته ، وتشعره بالضعف أمام خصمه اللدود !!

وحين سمع عبد الناصر بأن قطب رفض كتابة الالتماس بتخفيف الحكم عنه ، اعتبر ذلك محاولة للي الذراع فقرر تنفيذ الحكم فيه ، ونفذ الحكم فعلًا بإعدام سيد قطب الذي راح ضحية نرجسيته وحساباته الخاطئة !

عبد الناصر مسلمًا :

وبإعدام سيد قطب انتهت آخر وأخطر الحلقات في الصراع المرير بين عبدالناصر والإخوان ، وهو صراع على السلطة وليس على الدين ، فلم يكن عبد الناصر قد فعل ما يبرر للإخوان صراعهم معه ، بل لعل انتماء عبد الناصر للإخوان عقائديًا قد انعكس في الكثير من القرارات التي اتخذها ، وأعتقد أن العمل الإسلامي بكل

أبعاده في مصر تلقى في عصر عبد الناصر دعمًا لم يتلقه منذ دخول الإسلام مصر ، ولكن مع عداوته مع الإخوان استطاعوا حجب وتشويه آثار هذا العمل الإسلامي الناصري ، وهذا من قدرات الجماعة التكتيكية والحركية ، بينما عجزت الناصرية أن تجلى هذه الآثار وتبرزها .

وعلى سبيل المثال ، يذكر أهل الصعيد القدامى بفخر للمرحوم محمد محمود أحد رؤساء الوزارات في عهد ما قبل الثورة أنه في عام ١٩٣٨ لاحظ ـ وكان أحد كبار ملاك الأراضي في الصعيد ـ أن جميع صرافي الأراضي الذي يقومون بجمع الأموال المقررة على الأراضي للدولة ، كانوا من الأقباط فشغله هذا الأمر كثيرًا ، وأشار عليه أحد مستشاريه بقرار أصدره فورًا وظل الأحرار الدستوريون من أتباع محمد محمود يعتبرون ذلك القرار الذي أصدره زعيمهم فتحًا إسلاميًا حتى أن الأزهر كان ينحاز إلى الأحرار الدستوريين بالصبغة الإسلامية ، ويجعلهم حماة الإسلام وقلعته ؟

أنشأ محمد محمود مدرسة للصيارف ، نص في قرار إنشائها بأن أول شرط للالتحاق بها حفظ القرآن الكريم ، وكان الهدف من هذا الشرط ـ كما هو واضح ـ قصر الالتحاق بها على المسلمين فقط ، وبهذا القرار «أسلم» محمد محمود والأحرار الدستوريون مهنة الصيارف .

وكان من شأن هذا القرار الواحد الوحيد الذي اتخذه محمد محمود أن يجعله زعيمًا إسلاميًا يحظى بتأييد الأزهر والإسلاميين في مصر ، ولكن جمال عبد الناصر اتخذ أكثر وأخطر من هذا القرار خدمة للإسلام ، ومع ذلك لم يحظ كما حظى محمد محمود بتأييد الإسلاميين أو الإخوان المسلمين .

تطوير الأزهر :

وعلى سبيل المثال حين زار جمال عبد الناصر جامعة أسيوط ، في أول إنشائها عام

١٩٥٤ ، التقى بعميد كلية الهندسة فيها وهو الدكتور عبد السلام فهمي الذي كان قطبًا إخوانيًا قديمًا وأحد أعضاء الجهاز السري في الجماعة .

وقد اشتكى الدكتور عبد السلام فهمي لجمال عبد الناصر أثناء الزيارة ، أن أغلبية الطلبة بالكليات العملية مثل الطب والهندسة والعلوم والصيدلة كانوا من الأقباط وأن معظم - إن لم يكن كل - الصيادلة بأسيوط من المسيحيين .

وكان رد عبد الناصر على الدكتور فهمي حول تلك المسألة ، إنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا طالما كان مجموع الدرجات هو معيار الالتحاق بتلك الكليات ، وأنه لا يستطيع أن يلحق الطلاب المسلمين بها دون شرط المجموع ، كما لا يستطيع أن يمنع الطلاب المسيحيين من الالتحاق بها طالما كانوا حاصلين على مجموع الدرجات الذي يؤهلهم لذلك ، فأشار عليه الدكتور عبد السلام فهمي ـ القطب الإخواني القديم ـ بتطوير الأزهر ، وإنشاء بعض الكليات العملية به كالطب والصيدلة والهندسة والعلوم ، بدلًا من إغلاقه على ثلاث كليات تقليدية فقط هي الشريعة واللغة العربية وأصول الدين ، على أن يكون شرطًا لدخول تلك الكليات العملية الجديدة حفظ الطالب للقرآن الكريم وإلمامه بالشريعة الإسلامية .

اقتنع عبد الناصر بالفكرة التي قدمها له الدكتور عبد السلام فهمي ، وأصدر قانون تطوير الأزهر ، وهو أخطر قانون أصدره عبد الناصر لصالح الإسلام والمسلمين ، والذي يريد إنصاف عبد الناصر في خدمة فقراء المسلمين لابد وأن يعلم أن خريجي كليات الطب والهندسة والصيدلة والعلوم والزراعة في السنوات الأربع من عمر تلك الكليات كانوا من أبناء المقرئين وخدام المساجد وعمال دورات المياه بالمساجد ، هؤلاء الذي لم يكن يدور في أذهانهم تعليم أبنائهم لأكثر من المرحلة الابتدائية أو الإعدادية على أكثر تقدير ، فأصبحوا الآن يلتحقون بأفضل الكليات

الأزهرية دون شرط المجموع ، فتغيرت جغرافية التنظيم المهني في مصر لأول مرة في تاريخها لصالح المسلمين ، وكان ذلك على يد جمال عبد الناصر .

والغريب أن الإخوان المسلمين وأشياعهم ـ هاجموا قرار عبد الناصر بتطوير الأزهر واعتبروه مؤامرة لتخريب الدعوة الإسلامية وضربها في الصميم !! ويكفي أن أقول هنا أن بعثات دول الخليج التي كانت تأتي اللجان منها لاختيار عدد من الأطباء والمهندسين المصريين للعمل في تلك الدول ، كانوا يجدون أن معظم الأطباء والصيادلة والمهندسين المسلمين من خريجي كليات الأزهر ، فكانوا يتعجبون لروعة القرار الذي اتخذه عبد الناصر لتطوير الأزهر وتخريجه للطبيب المسلم والمهندس المسلم والصيدلي المسلم ، بعد أن كانت تلك المهن الخطيرة قصرًا على المسيحيين وحدهم !

ناصر والجماعات الإسلامية :

ولعلي أكاد أقطع بأن ظهور الجماعات الإسلامية في صفوف الطلاب المصريين يرجع إلى الخطوة التي اتخذها عبد الناصر بإعلان مجانية التعليم وتطوير الأزهر ، فقد فتح أبواب التعليم أمام شرائح ضخمة من أبناء الفقراء الذين يشكلون الآن القاعدة في الحركة الإسلامية التي نشهد تضخمها الآن .

أما القرار الآخر الذي اتخذه عبد الناصر لخدمة الإسلام والمسلمين فهو إنشاء مدينة البعوث الإسلامية ، ولكي تعرف مدى خطورة هذه الخطوة ينبغي أن تعلم أن الأزهر منذ إنشائه في عهد الفاطميين وحتى عهد جمال عبد الناصر يتضمن ستة أروقة فقط ، يضم كل رواق منه عددًا من الطلاب لا يزيد على الخمسين أو الستين ، وكان الطلاب الذي يفدون إلى الأزهر من مختلف البلاد الإسلامية البعيدة يمضون فترة تعليمهم بالأزهر في عيشة مزرية ، حتى قرر عبد الناصر إنشاء مدينة البعوث

الإسلامية للطلاب الوافدين إلى الأزهر من مختلف البلدان الإسلامية، فوفر لهم حياة كريمة تليق بهم كطلاب علم مسلمين.

وإذا نظرنا إلى الأعداد الكبيرة التي تقيم بمدينة البعوث علمنا حجم المبالغ الضخمة التي تنفقها مصر من ميزانيتها الفقيرة، وما كان ذلك ليحدث لو لم يكن حاكم مصر ـ جمال عبد الناصر ـ رجلًا يعمل لخدمة الإسلام والمسلمين، ولو امتنع عبد الناصر عن إقامة هذا المشروع الإسلامي الضخم متعللًا بالفقر، لما استطاع أحد أن يلومه على ذلك، ولكن انتماءه الإسلامي الصحيح وحرصه على نشر الإسلام وتقديم المسلمين منعه من ذلك، وجعله يتحمل فوق طاقاته من أجل ذلك الهدف النبيل.

قرار لم يُستوعب:

ثم أقف قليلًا عند قرار أصدره جمال عبد الناصر، لو كانت القيادة المصرية استوعبت هذا القرار وفهمته، لعقدت لمصر زعامة إسلامية أخرى أعظم من كل ما مضى.

فقد أصدر جمال عبد الناصر قرارًا يدل على أنه تلميذ وفيّ جدًا للشيخ حسن البنا، فقد أمر بشيء لم يكن أحد في مصر يفكر فيه سوى حسن البنا وحده، وتفصيل ذلك أنه حين أنشأ الشيخ حسن البنا عام ١٩٤٥ لجنة اسمها لجنة التقريب بين المذاهب الإسلامية لما رأى أن علماء السنة لا يلتقون أبدًا مع علماء الشيعة، دعا البنا إلى هذه اللجنة علماء الأزهر ومنهم المرحوم فضيلة الشيخ محمود شلتوت، إلى جانب عدد من علماء المذهب الشيعي من إيران وغيرها، ليقيموا حوارًا فيما بينهم يهدف إلى تقريب المذاهب الإسلامية بعضها من بعض.

ولما قامت الثورة، وجاء عبد الناصر، كلف الشيخ الباقوري ببحث إمكان

تدريس الفقه الشيعي الجعفري بالأزهر كمذهب إسلامي خامس بعد أن كانت الدراسة بالأزهر قصرًا على المذاهب السنية الأربعة المعروفة ، وقامت وزارة الأوقاف المصرية بطبع بعض الكتب التي تعرف بالمذهب الشيعي على نفقتها ، ومنها كتاب «المختصر النافع في فقه الإمامية» لأبي القاسم الحلي ، وكانت وزارة الأوقاف تبيع هذا الكتاب على ضخامته بخمسة قروش فقط ، وهو ما يعني أنه ثمن رمزي بالقياس إلى عدد صفحاته التي تبلغ أكثر من ٤٠٠ صفحة ، وقد كتب له المقدمة الشيخ الباقوري يشيد فيه بالفقه الشيعي وينعي على الأمة تمزقها بين شيعة وسنة ، ويقول : إن الثورة المصرية أرادت من بين ما أرادت أن تعبر الفجوة بين السنة والشيعة وأن تقدم للقارئ المصري والسني عمومًا كتابًا في الفقه الشيعي ما كدت أن أقرأه قبل أن أكتب مقدمته حتى حزنت على العصور التي حجبتنا عن هذه المعرفة .

وفي عام ١٩٦٠ وجه عبد الناصر الدعوة لعلماء المسلمين من المذاهب الثمانية ــ وليس الأربعة ــ لحضور مؤتمر علماء المسلمين بالأزهر ، فاجتمع مؤتمر علماء المسلمين الأول ومثل فيه الشيعة الجعفرية من إيران ، والأباضية من عمان ، والزيدية من اليمن ، والظاهرية في الجزائر ، وكان ذلك لأول مرة في التاريخ الإسلامي قديمه وحديثه ، وفوق ذلك صدرت في عهد عبد الناصر موسوعة الفقه الإسلامي ، وهي ـ في رأيي ـ أخطر مشروع إسلامي في العصر الحديث ذلك لأنه يعيد الدماء إلى الفقه الإسلامي والاجتهاد فيه بعد أن كانت أبوابه موصدة ولعدة قرون طويلة مضت ، فهل يستطيع أحد أن يقول أن حاكمًا فعل ذلك ليس حاكمًا إسلاميًا ، ويعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين ؟!

عبد الناصر و«الإخوان» انتماء وهدنة وصراع

8

لابد أن يصاب المرء بالحيرة والدهشة أمام الموقف العدائي الذي اتخذه الإخوان المسلمون من عبد الناصر وعهده، فهو الموقف الذي ليس له ما يبرره، خاصة أن الرجل قد فعل كل ما كان في وسع أي حاكم مسلم أن يفعله، ولو كان حسن البنا نفسه ـ وهو زعيم الجماعة ومؤسسها ـ في مكان عبد الناصر، لما استطاع أن يفعل أكثر مما فعله عبد الناصر خدمة للإسلام والمسلمين ؟

فلماذا إذن كان العداء والعدوان ؟ ولماذا كان الخلاف والاقتتال ؟ ولماذا حاولوا قتله غيلة، ثم حين فشلوا، راحوا يحاولون قتله معنويًا بتشويه صورته والتشكيك في إسلامه ؟

obeikandl.com

يقول الإخوان ـ أو بعضهم ـ ممن شعر بحرج الموقف باغتيال رجل مسلم حقق للإسلام أكبر وأعظم إنجازاته في العصر الحديث : إن محاولة الاغتيال التي جرت في ميدان المنشية بالإسكندرية في صيف ١٩٥٤ ما هي إلا تمثيلية قام عبد الناصر بإخراجها لإيجاد المبرر المناسب الذي يسمح له بالتخلص من الإخوان شنقًا أو اعتقالًا ، ونحن نسأل هنا : ألم يكن انفجار مدبر تقوم به أجهزة عبد الناصر في إحدى الحافلات العامة أو دور السينما كفيلًا بإيجاد مثل ذلك المبرر الذي كان عبد الناصر يبحث عنه لإعدام بعض الإخوان أو سجنهم ؟

ثم ...

ماذا يقول هؤلاء وقد شهد الكثيرون ـ ومنهم الباقورى ، نائب حسن البنا نفسه ـ بأن عبد الناصر كان الوحيد في مجلس قيادة الثورة الذي رفض التصديق على الحكم الذي أصدرته محكمة الثورة بإعدام عدد من قيادات الإخوان ، وطالب زملاءه بتخفيف تلك الأحكام إلى السجن والاعتقال ، حتى إن زميله جمال سالم ، رئيس محكمة الثورة التي أصدرت تلك الأحكام ، هدد بقتله برصاص مسدسه حين سمعه يطالب بتخفيفها .

ثم ...

هل اتهام الإخوان باغتيال عبد الناصر ، كان موجهًا إلى جماعة من الأبرياء لا تؤمن بالقتل والاغتيال كوسيلة لتصفية الخلافات ؟

ثم ...

ألم يكن هناك تنظيم إخواني مسلح ، هو «التنظيم السري» ، ولماذا كان سريًا حتى على قيادات الإخوان أنفسهم ، إذا كان الهدف من إنشائه مشروعًا وأخلاقيًا ؟ إن الدمرداش العقالي ، وهو أحد أبرز أعضاء ذلك التنظيم السرى أو «الجهاز الخاص» ،

يعترف بوجود هذا الجهاز، بل يعترف بكل العمليات التي نسبوا إليه القيام بها .

السرية للجميع :

ويقول العقالي : إذا أردنا أن نعيد قراءة الحقبة التاريخية التي تبدأ بعام ١٩٤٥، وحتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، لكي نحكم على مجمل نشاط الجهاز الخاص بقيادة عبد الرحمن السندي ، كان علينا أن نأخذ بعين الحذر والتدقيق تلك الحوادث التي نسب إلى الجهاز الخاص أو «الجهاز السري» القيام بها في تلك الحقبة ، لدى قراءة ملف الجهاز الخاص في الفترة السابقة على ثورة يوليو علينا أن نكون حذرين في إسناد تلك الحوادث إلى ذلك الجهاز لأن كثيرًا منها ارتكبته أيد أخرى حيث كانت الساحة المصرية ـ قبل الثورة ـ مليئة بالحركات السرية المسلحة ، التي ينتمي كل منها إلى أيديولوجية مختلفة ، وذلك بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين بالإضافة إلى الظروف المصرية المحلية التي تتمثل في الاحتلال الأجنبي والفساد المستشري في جنبات الحكم وأجهزته مع التمايز الطبقي الواضح في المجتمع ، ولا شك أن تلك الظروف ــ محلية وعربية ودولية ــ كانت مناخًا مناسبًا لظهور الكثير من الحركات السرية المسلحة التي ترى الحل للمشكلات المصرية في العنف والقوة بديلًا عن الديمقراطية الغائبة في مجتمع يتميز بالفوارق الطبقية الرهيبة .

ولم تكن تلك الحركات السرية كلها إسلامية ، وأضرب لذلك مثلًا بحادثتين شهيرتين ، يصل التعميم إلى إسنادهما إلى الجهاز الخاص للإخوان المسلمين ، رغم وجود أدلة قطعية على عدم صلة ذلك الجهاز بوقوعهما :

الأول : هو حادث مقتل الدكتور أحمد ماهر ، رئيس الوزراء المصري المعروف .

والثاني : حادث مقتل سليم زكى حكمدار القاهرة ـ أو مدير أمن القاهرة ـ وهما الحادثان اللذان ينسب البعض وقوعهما إلى الجهاز الخاص للإخوان المسلمين.

الحزب الوطني القديم :

أما الحادث الأول وهو اغتيال الدكتور أحمد ماهر ، فقد قام به فرد معلوم للجميع وهو محمود العيسوي ، الذي كان منتميًا كما هو ثابت في ملف القضية ، إلى الحزب الوطني القديم ، الذي أسسه مصطفى كامل ، وكانت هناك أرضية مشتركة يقف عليها ذلك الحزب مع جماعة الإخوان وهى الأرضية الإسلامية ، فكلاهما كان يطرح الأمور من زاوية إسلامية واضحة ، وربما لهذا السبب يقع بعض المؤرخين في الخطأ حين ينسبون اغتيال أحمد ماهر إلى الإخوان ، وهم في الواقع أبرياء من ذلك العمل ، الذي قام به عضو منظم في الحزب الوطني الذي لا يوجد له أي ارتباط حركي أو تنظيمي بجماعة الإخوان وإن كان هناك ارتباط فكرى وأيديولوجي واضح بينهما ، ومحمود العيسوي الذي كان متهمًا باغتيال الدكتور ماهر ، لم يقل أحد بعد وقوع الحادث أو أثناء المحاكمة التي جرت له إنه ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين ، فقد كان معلومًا للجميع أنه من الحزب الوطني القديم ، ولذلك تطوع للدفاع عنه أحد أبرز أقطاب الحزب وهو الدكتور على بدوى ، عميد كلية الحقوق في ذلك الوقت .

الماركسيون :

أما سليم زكى حكمدار القاهرة فقد اغتيل في كلية الطب جامعة فؤاد «قصر العيني» على إثر مظاهرة طلابية كبيرة ، الثابت أن الذين قاموا بها هم الطلاب الماركسيون الذين يتزعمهم الطالب فؤاد محيى الدين الذي أصبح رئيسًا لوزراء مصر بعد ذلك ، وكان سليم زكى قد ذهب إلى قصر العيني على رأس قوة عسكرية من رجال البوليس لفض تلك المظاهرة الطلابية الماركسية فألقيت عليه قنبلة من فوق أحد المباني أصابته مباشرة فلقي مصرعه ، ولم يقر أحد من الذين حققوا في

تلك القضية تحقيقًا قضائيًا أو تاريخيًا أن الإخوان كانوا ضالعين فيها. وحين كنت عضوًا بمجلس الشعب عن أسيوط، وكان ممدوح سليم زكى، ابن المرحوم سليم زكى، محافظًا لأسيوط، دار بيني وبينه حوار حول الحادث، وأكد لي ممدوح زكى أن الإخوان أبرياء من دم والده، وأن الطلاب الماركسيين هم الذين اغتالوه.

أما لماذا اغتيل الدكتور أحمد ماهر، فقد كان رئيسًا لوزراء مصر أثناء نشوب الحرب العالمية الثانية ووصول معاركها إلى نقطة الذروة، ولهذا استصدر أحمد ماهر قرارًا من مجلس النواب بانضمام مصر إلى معسكر الحلفاء ضد معسكر المحور، مما أثار غضب الشباب المصري في ذلك الوقت، وكانوا متعاطفين مع المحور ضد الحلفاء، على أمل أن تنتصر قوات المحور بقيادة ألمانيا على قوات الحلفاء بقيادة بريطانيا، الأمر الذي سيضعف قواتها المحتلة في مصر، فتنسحب من الأراضي المصرية ويتحقق الجلاء، وهو أسمى الأهداف وأغلاها، ولم يكن من المعقول أو المقبول في نظر أولئك الشباب أن تنضم مصر لتقاتل مع القوات البريطانية وتناصرها وهى التي لا تزال تحتل الأراضي المصرية، ولهذا اعتبر محمود العيسوي وغيره من الشباب في أحزاب مصرية كثيرة غير الحزب الوطني أو الإخوان المسلمين، أن القرار الذي استصدره أحمد ماهر من مجلس النواب بالانضمام إلى صفوف بريطانيا يشكل خيانة عظمى جزاؤها القتل. لهذا السبب الوطني وحده، ودون أي خلفية إسلامية أو مبررات دينية، أقدم محمود العيسوي على اغتيال أحمد ماهر الذي استصدر ذلك القرار «الخائن» في نظر الشباب إسلاميين وغير إسلاميين.

كذلك فإن سليم زكى لم يقتل لشخصه، بل قتل كرجل بوليس وجد نفسه في مواجهة مع طلاب ثائرين، ولو كان أي شخص آخر في موقعه في تلك الموقعة لقتل كما قتل سليم زكى، وكانت تلك الفترة من عام ١٩٤٦ تتسم بالثورة والعنف في

الأوساط الطلابية والعمالية .

بداية العنف :

أما الحوادث التي قام بها الجهاز الخاص للإخوان المسلمين فقد بدأت بعد القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وقد أثار ذلك القرار الغضب في نفوس الناس - إسلاميين وغير إسلاميين - ولكن أعضاء الجهاز الخاص للإخوان انفردوا في التعبير عن غضبهم بالعنف ، حين قرروا ضرب بعض المصالح والمشروعات التي يتملكها اليهود في مصر ، مثل شركة الإعلانات الشرقية «جريدة الجمهورية الآن» .

اغتيال الخازندار :

أما حادث اغتيال الخازندار ، رئيس محكمة الجنايات ، فقد وقع لأسباب مغايرة للأسباب السابقة. وترجع الأسباب الحقيقية لاغتيال الخازندار ليس فقط للأحكام المشددة التي وقعها على بعض أعضاء الجهاز السري للإخوان الذين تمكنوا من وضع القنابل في نادى الضباط الإنجليز ، بمعسكر مصطفى باشا في الإسكندرية ، بل لأن تلك الأحكام المشددة التي أصدرها ذلك القاضي اقترنت بأحكام أخرى اعتبرها الإخوان مخففة جدًا على أحد الجناة في قضية مشهورة جدًا في ذلك الوقت وهى قضية «السفاح قناوي» .

كان السفاح قناوي متهمًا في عدد من حوادث اختطاف الأطفال وقتلهم بعد الاعتداء عليهم ، وقد تكررت تلك الحوادث في الإسكندرية حتى تم اكتشاف مرتكبها وهو السفاح «قناوي» الذي اعترف بارتكاب تلك الحوادث جميعها ، وثبتت عليه التهمة في محاكمة شدت إليها أنظار المصريين جميعهم ، وهي تشبه

محاكمة «سفاح المغرب» الذي تم الإعلان عنه أخيرًا ، وكان الناس ينتظرون إعدام ذلك السفاح «قناوي» لبشاعة الجرائم التي ارتكبها ، ولكن القاضي الخازندار لم يحكم عليه بأكثر من سبع سنوات فقط ، بينما حكم ـ وفى نفس الجلسة ـ على أعضاء جماعة الإخوان المسلمين الذين وضعوا القنابل في نادى الضباط الإنجليز ، وهى قنابل لم تنفجر ، بالأشغال الشاقة المؤبدة أي ٢٥ سنة !

ربنا ينتقم منك :

وقد نشر الحكم في القضيتين في صبيحة اليوم التالي ، وحين قرأهما المرحوم حسن البنا كان عبد الرحمن السندي رئيس الجهاز السري للإخوان إلى جواره ، وقد صدر تعليق عفوي من المرحوم حسن البنا على الأحكام التي أصدرها القاضي الخازندار حين قال : « بقى يا خازندار تحكم بسبع سنين فقط على عدد من الجرائم المرتكبة ، اختطاف واعتداء وقتل ، وتحكم بخمس وعشرين سنة على شباب وطني ألقى القنابل على المحتل الغاصب للوطن ؟ ربنا ينتقم منك » ، وحين سمع عبد الرحمن السندي العبارة الأخيرة التي نطق بها زعيم الجماعة « ربنا ينتقم منك » اعتبرها السندي أمرًا باغتيال القاضي الظالم ، فراح يخطط للعملية من وراء ظهر الجميع ، حتى حسن البنا نفسه ، وبعد أيام وبينما القاضي الخازندار يهم بركوب «المترو» في منطقة حلوان التي كان يسكنها ، تقدم منه محمود زينهم عضو التنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين ، ومعه عدد آخر من زملائه ، وأطلقوا عليه الرصاص فأردوه قتيلًا في الحال ، وقد تمكن رجال البوليس من إلقاء القبض على هؤلاء القتلة وقدموا للمحاكمة فأصدرت في حقهم أحكامًا بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وحين قامت الثورة أصدر جمال عبد الناصر ، أول قرار يصدر عنه بالإفراج عن قتلة الخازندار ضمن من أفرجت عنهم الثورة من أعضاء الجماعة المسجونين على ذمة

obeikandl.com

قضايا مختلفة .

المهم أن حسن البنا حين سمع بمقتل الخازندار ، وعرف أن عبد الرحمن السندي هو الذي دبر لتلك العملية استنكر ذلك بشدة ، فقال له السندي : إنه فهم منه عكس ذلك حينما قال : « ربنا ينتقم منك » .

اغتيال النقراشي :

أما عن اغتيال محمود فهمي النقراشي ، رئيس الوزراء في ديسمبر سنة ١٩٤٨ فقد سبقته أحداث متلاحقة أشبه بعملية السباق بين فريقين يسعى كل منهما لتصفية الآخر .

كان النقراشي من أنظف وأفضل رؤساء الوزارات في مصر قبل الثورة ، ولكنه دخل في مواجهة مع الإخوان رأى النقراشي أن ينهيها بقرار حل الجماعة والقبض على كل قيادتها ، وإيداعهم السجون والمعتقلات ، ولكن لماذا حدث ذلك ؟

في أعقاب صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، تصاعدت الأحداث في نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وكان رأي حسن البنا أن الطريق الأمثل لمواجهة القرار الدولي الظالم هو الإعداد لحرب شعبية عربية ، وقد عبر عن ذلك في عدة مقالات ، لكن السلطة أساءت الظن بدعوته ، ورأت أنه يهدف إلى خلق المناخ المناسب لإعداد كوادر عسكرية لديها العتاد والسلاح ، لإسقاط نظام الحكم في مصر ، لذلك سارعت الحكومة والملك فاروق إلى التدخل بالجيش في حرب فلسطين دون إعداد حقيقي ، وقد جاء هذا التدخل ليقطع الطريق على أي تحرك شعبي مسلح قد يشكل تهديدًا على نظام الدولة .

وحينما علم حسن البنا بقرار الملك بالتدخل الرسمي في فلسطين ، بدأ يتجه

اتجاهًا آخر وهو أن يستبقي الجهاز السري في مصر دون أن يقحمه في الحروب ، وبذلك يمكنه ـ في ظل انشغال الجيش المصري في فلسطين ـ من توجيه ضربة تاريخية يحرك بها الأحداث على أرض مصر في اتجاه التغيير الذي ينشده ويسعى إليه ، وحين علمت قيادة الإخوان بقرار حسن البنا ثارت عليه ، وهدد الأمر بانقسام الجماعة على نفسها ، فالشعارات التي كانت تغطي الشوارع في ذلك الوقت كانت تحرض على الاشتراك في الحرب ، في حين كان يصعب على الشيخ البنا أن يصرح بخططه ونواياه الحقيقية لأحد باستثناء عدد من قادة الجهاز السري ، لذلك رأينا مكتب الإرشاد والوعظ بالجماعة خاصة الشيخ « محمد فرغلي » يعلن غضبه على الشيخ البنا الذي لم يجد أمامه غير فتح باب التطوع للحرب في فلسطين ، حيث تطوعت أعداد كبيرة من الإخوان وغير الإخوان ، وهنا تنبهت الحكومة برئاسة النقراشي إلى أن الإخوان المسلمين الذين يقاتلون في فلسطين استطاعوا ـ مع قلة عددهم ـ تسجيل بطولات معروفة تناقلتها الأنباء من ميدان المعركة ، لو قدر لهؤلاء أن يعودوا إلى مصر بعد انتصار اليهود ، وهزيمتهم التي يحملون المسئولية فيها للملك والحكومة ، لأمكنهم تهديد الحكومة والنظام ، وربما الثورة عليها وقلبها بالقوة .

الحل هو الحل :

وأمام هذا المأزق الذي وجدت حكومة النقراشي نفسها فيه ، سارعت ـ بنصيحة معروفة من سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا ـ إلى إصدار قرار حل الإخوان المسلمين في ٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ ، ثم قام الملك باعتقال أعضاء مكتب الإرشاد للإخوان ، واستبقى المرشد العام حسن البنا ، وكان هذا الاستثناء غريبًا على رجل الشارع ولكن حسن البنا وضع أمام احتمالين : إما أنه استبقى لإتاحة الفرصة

لتحركه الذي يقود إلى معرفة أعضاء الجهاز السري الذي يفترض أن يتصل بهم البنا في مثل هذه الظروف، أو أن استثناءه من الاعتقال كان بداية لتنفيذ خطة تقضي باغتياله، وقد رأى البنا أنه لن يفوت الفرصة على الحكومة في كلا الاحتمالين إلا بالتزام بيته وعدم الخروج منه مطلقًا، وقطع اتصاله بالجميع، ثم كان اغتيال النقراشي الذي جاء على يد عدد من الشباب يتزعمهم « محمود عبد المجيد » الذي ارتدى زي أحد ضباط البوليس، ليتمكن من دخول وزارة الداخلية ويطلق النار من مسدسه على النقراشي باشا فيقتله دون أن يصيب أحدًا من مرافقيه، وحين سمع البنا باغتيال النقراشي أصدر بيانًا نشرته الصحف المصرية بعنوان « هذا بيان للناس » وتحته عنوان آخر « ليسوا إخوانًا .... وليسوا مسلمين » !

وقد استنكر البنا في بيانه اغتيال النقراشي منددًا بالقتل كأسلوب للانتقام وتوقيع الجزاء، ومن جانبها حاولت السلطة استغلال هذا البيان حين ادعت أنه كان سببًا في الاعترافات التي أدلى بها القاتل بعد أن كان مصرًا على الإنكار، وقالت الحكومة في ادعاءاتها : إن معنويات المتهمين قد ضعفت حين علموا بأن حسن البنا قد تخلى عنهم، وأن ما يعتبرونه جهادًا في سبيل الله تبين أنه مجرد أعمال تفتقر إلى الأساس الديني الصحيح، وقد فوجئ أعضاء الجهاز السري بالبيان الذي أصدره البنا واستنكروا منه استنكاره، ولكن عبد الرحمن السندي زعيم الجهاز والذي كان يبدو أنه الأقرب إلى فهم ما يقصده حسن البنا، قال في تحليله للبيان : إن البنا لم يقصد ـ ولا يمكن له أن يقصد ـ استنكار عملية الاغتيال، بل قصد أن يلفت نظرنا إلى أن الآيات الواردة في سورة آل عمران التي تبدأ بقوله تعالى : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صدق الله العظيم .

قرآن أم منشور؟!

وحسب تحليل عبد الرحمن السندي للآيات فإن حسن البنا كان يقصد تثبيت أفئدة المتهمين وتشجيعهم على التمسك بالمبدأ وألا يهنوا أو يحزنوا لأنهم الأعلون ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، وبالتالي فإن البنا لم يتخل عن أعضاء جماعته أو يستنكر فعلتهم ، بل على العكس كان يحرض غيرهم على المزيد منها ، وذلك عند تكملة الآيات : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ صدق الله العظيم .

وهكذا فهم عبد الرحمن سندي من بيان حسن البنا ما لم يفهمه غيره من أعضاء الحركة ، فقد كان مستغرقًا في العمل السري ، ولهذا قرأ البيان بنفس الطريقة التي اعتاد أن يقرأ بها المنشور السري أو « الشفرة » التي يتم التفاهم بها عادة بين الأعضاء في الحركات السرية .

خطة لاغتيال فاروق :

وقد نجح عبد الرحمن السندي في أن يقنع بقية الأعضاء في الجهاز السري أن الأستاذ البنا ما زال على عهده معهم ، وأنه لم يتخل عنهم ، فبدأوا يفكرون في اغتيال الملك فاروق شخصيًا ، في اليوم الذي أذيع فيه أن فاروق سيكون على رأس المشيعين في جنازة النقراشي من مسجد القبة الفداوية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، وقد أعد الجهاز السري خطته لاغتيال فاروق وقلب نظام الحكم أثناء الجنازة ، ولكن حسن البنا حين وصلته أنباء تلك الخطة ، رفض ذلك قائلًا : إنه لا يريد أن يرتبط

بدء الحكم الإسلامي في مصر بالتعرض لحرمة الموتى ، وحينها قالوا له : إنه هو شخصيًا معرض للقتل ، قال : إنني أعلم ذلك وأفوض أمري لله ، وبعد ذلك بأقل من شهر ونصف الشهر ، وفي مساء ١٢ فبراير ١٩٤٩ ، وأمام جمعية الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلي « رمسيس حاليًا » تم اغتيال الشيخ البنا الذي خرج في تلك الليلة ولأول مرة بعد أن فرض على نفسه الإقامة الجبرية تحسبًا لاغتياله ، وكان قد ذهب إلى جمعية الشبان المسلمين ليسلم رئيسها صالح حرب وصيته التي تضمنت اختياره لعبد الرحمن سندي وجمال عبد الناصر لزعامة الإخوان في حالة اغتياله أو وفاته أو غيابه .

وكان واضحًا أن قتلة البنا مجموعة من رجال الشرطة السريين الذين كانوا يعملون بتوجيهات مباشرة من « حامد جودة » رئيس مجلس النواب ، وإبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء ، وكان المنفذ المباشر مدير الأمن العام ، وقد عرف فيما بعد أن الملك فاروق يتابع شخصيًا مسلسل الجريمة أولًا بأول ، حتى أنه كان يتصل بمستشفى القصر العيني الذي نقل إليه الشيخ حسن البنا بعد إطلاق النار عليه من الجناة ، ولم تكن الإصابات التي أحدثتها الطلقات مؤثرة أو تؤدي إلى الوفاة ، ولهذا جاء في التقرير الطبي أن سبب الوفاة هو النزيف الحاد مما يعني أن الإصابة لم تكن قاتلة ، وأن الملك هو الذي أمر الأطباء بترك حسن البنا ينزف حتى الموت !

وهكذا انتهت صفحة من كتاب العنف المضاد بين الإخوان والملك ورجاله ، ربما كان لها ما يبررها ، ولكن ما المبررات لاستمرار العنف من جانب الإخوان مع عبد الناصر والثورة ، وهو الذي عمل لخدمتهم وخدمة الإسلام ما لم يفعله حاكم مصري منذ الفتح الإسلامي وحتى الآن ؟

هذا هو السؤال !